

الفصل الأول

ابن أبي طي الحلبي

تتركز الدراسة في هذا الفصل على إبراز كل ما توافر لدينا من معلومات عن المؤرخ ابن أبي طي الحلبي، كمقدمة مهمة قبل عرض ودراسة ما جمعناه له من كتابات.

وقد اعتمدنا في جمع مادة هذا الفصل على كل ما وقفنا عليه من المصادر والمراجع العربية والاجنبية التي جاء فيها ذكر ابن أبي طي، وعلى البيانات التي كشفتها كتابات ابن أبي طي عن أسرته.

وقبل البدء في عرض هذه الدراسة، نقدم نبذة عن العصر الذي عاش فيه ابن أبي طي، ثم نقدم ترجمة له تشمل الأسرة التي نشأ فيها، ومولده، وأهم شيوخه، والأعمال التي قام بها، ومؤلفاته، وأخيرا منهجه في الكتابة التاريخية.

عصر ابن أبي طي:

عاش ابن أبي طي في مدينة حلب في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، وحتى النصف الأول من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي^(١).

وسوف نتناول دراسة عصره من عدة نواحي:

أولا- الدول التي عاصرها:

عاصر ابن أبي طي على الصعيد السياسي الخارجي الخلافة العباسية في فترة تعدد من أهم فتراتنا، وهي فترة ولاية الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢ هـ / ١١٨٠-١٢٢٥

(١) السيوطي: الخلفاء، ص ٤٥٢

(م)، الذى كان على خلاف آبائه من السنة يعتنق مذهب الشيعة الإمامية^(١)، وصار بذلك على - حد قول والد ابن أبي طي - إماما للشيعة^(٢).

وعلى صعيد بلاد الشام نشأ ابن أبي طي وعاش في كنف الدولة الأيوبية في أوج عهدها في فترة ولاية السلطان صلاح الدين (٥٧٠ - ٥٨٩ هـ / ١١٧٤ - ١١٩٣ م)، ومن بعده في عهد خلفائه.

وعلى الصعيد السياسى الداخلى في حلب، فقد ولد ابن أبي طي في أواخر عهد الدولة الأتابكية في فترة حكم «الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود ابن زنكي» (٥٦٩ - ٥٧٧ هـ / ١١٧٤ - ١١٨١ م)، وعاش حياته كلها في ظل الحكم الأيوبي لحلب، وقد عاصر ولاية كل من:

١ - السلطان صلاح الدين: حيث أقام بها لمدة شهرين لضبط الأمور من شهر صفر إلى ربيع الآخر عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م.

٢ - الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين: في أثناء ولايته الأولى في حلب (ربيع الآخر - رمضان ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م).

٣ - الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب: (٥٧٩ - ٥٨٣ هـ / ١١٨٣ - ١١٨٧ م)

٤ - الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين: ولايته الثانية (٥٨٣ - ٦١٣ هـ / ١١٨٧ - ١٢١٦ م).

(١) السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ٥٢، ص ١٧.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٣، ص ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٩، ١٦٩، ٢٢١.

٥ - الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر: (٦١٣ - ٦٣٤ هـ / ١٢١٦ - ١٢٣٦ م)^(١).

ثانيا - السمات العامة لبلاد الشام في عصر ابن أبي طي:

على الصعيد السياسي كانت بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجري، الثاني عشر الثالث عشر الميلادي، ميدانا للصراع الإسلامي الصليبي الذي بداته الدولة الأتابكية وواصلته الدولة الأيوبية، وعلى الصعيد الإقتصادي ساد نظام الإقطاع العسكري بلاد الشام، والذي كان قد غمر العالم الإسلامي برمته، فمزق البلاد إلى كيانات متجزئة، وكان تأثيره في بلاد الشام أخف وطأة نظرا للنشاط التجاري، حيث كانت بلاد الشام بحكم موقعها الجغرافي محطة لتجارة العبور العالمية بين آسيا وأوروبا، أما على الصعيد الإجتماعي، فقد صارت بلاد الشام خليطا لأجناس متعددة بعد أن غمرتها هجرات تركية وخورازمية، وفلول عناصر صليبية استوطنت البلاد حتى بعد انسحاب الصليبيين إلى أوروبا، وعلى الصعيد الديني شهدت بلاد الشام ملا مختلفه إسلامية ونصرانية ويهودية وشيعية إسماعيلية واثني عشرية، الأمر الذي أثر في البئة الإجتماعية^(٢).

ثالثا - خصائص مدرسة الشام التاريخية:

شهدت مدرسة الشام التاريخية تطورا كبيرا في العصر الذي عاش خلاله ابن أبي طي في القرنين السادس والسابع الهجري، الثاني عشر الثالث عشر الميلادي، حيث

تأثرت بالتغيير السياسي الذي حدث في تلك الفترة في معظم بلاد الشام، من دويلات عديدة مستقلة إلى دولة إسلامية موحدة شملت كثيرا من بلاد الشام، خلال عهدي الدولة الأتابكية (٥٢٢ - ٥٧٧ هـ / ١١٢٨ - ١١٨١ م)، والدولة الأيوبية (٥٧٠ -

(١) د. محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الإنبيار (٤)، ص ٨٤ - ٨٥ (تحت الطبع).

(٢) د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ٢، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

٦٥٨ هـ / ١١٧٤ - ١٢٦٠ م)، وتبع ذلك تغيير في طبيعة المؤلفات التاريخية، من كتابات محدودة المدى الزمنى والمكانى، وتهتم برصد احداث إقليمية أو سيرة رجل، أو دولة، إلى المشاريع التاريخية الكبرى، ولم يكن الاستقرار السياسى هو الدافع الوحيد وراء ظهور تلك المؤلفات، وإنما كانت هناك أسباب أخرى تتعلق بسمعة نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي الطبية التى جذبت العلماء من كل مكان إلى بلاد الشام^(١).

وأصبحت لذلك بلاد الشام مركزا الثقل فى الكتابة التاريخية، خاصة بعد سقوط الخلافة العباسية فى عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، وتعاضم نتاج المؤرخين وخلف المؤرخ الواحد عشرات الكتب التى كان بعضا يصل إلى عشرات المجلدات، ويرغم وفرة المؤلفات التاريخية فى بلاد الشام إلا أنه لم يبق منها إلا القليل، وكانت الصراعات الدينية والمذهبية وراء فناء الكثير من هذه المصنفات، وتمثل المؤلفات الكثيرة التى كتبها المؤرخ ابن أبى طى مثلا على ذلك^(٢).

وعلى الرغم من هذا التطور الذى شهدته مدرسة الشام، إلا أن الفكر التاريخى بها لم يتطور، ويرى الدكتور محمود إسماعيل أن أكثر ما كتب كان نقلا وتكرارا يفتقر إلى الإبداع والإبتكار، ويرجع ذلك إلى عقم المناهج إذا أفضى النظام الحولى الذى اتبعته معظم تلك المؤلفات إلى تجزئة الحوادث، كما كان اتباعهم منهج الإسناد الذى يهتم بالشكل دون المضمون خاصة أن كثيرا من المؤرخين كانوا حفاظا ومحدثين لذلك غلب السرد والوصف على التحليل والتعليل وسادت الرؤى والأسطورة والخرافة فى التفسير محل الحياد والموضوعية، وطغى أسلوب الصنعة اللفظية والزخرفة الأسلوبية على لغة العرض، وكان ذلك كله من أسباب تدهور الفكر التاريخى^(٣).

(١) د . محمود إسماعيل : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ٩١ - ٩٢ .

(٣) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١١ .

رابعا - تطور انتشار المذهب الشيعي في حلب:

ولد المؤرخ يحيى ابن أبي طي في مدينة حلب، وقضى بها سنوات عمره، ولهذا وجدنا أن دراسة نشأ وتطور المذهب الشيعي في حلب وموقف السلطات الحاكمة منه، من الجوانب المهمة التي تفيدنا في فهم طبيعة المناخ الذي عاصره المؤرخ ابن أبي طي وكتب فيه.

دخل المذهب الشيعي في حلب قبل عهد الدولة الحمدانية (٣٣٣ - ٤٠٦ هـ / ٩٣٥ - ١٠١٥ م)، وانتشر وقوى في عهدهم^(١)، منذ عهد مؤسس الدولة «سيف الدولة الحمداني» (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ / ٩٣٥ - ٩٦٧ م)^(٢)، وقد أشار ابن أبي طي في كتاباته عن أحد المشاهد المقدسة لدى الشيعة، وهو «مشهد الذكّة»^(٣)، إلى اهتمام سيف الدولة الحمداني بالشيعة، حيث قام ببناء هذا المشهد الذي اكتشف في عهده في عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م، وقد روى ابن أبي طي تفاصيل هذا الموضوع، فقال: «عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء وجه الله تعالى وقرية إليه على اسم مولانا «المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب» - عليهم السلام - الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان»^(٤).

ثم صار المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة الحمدانية في حلب منذ عهد سعد الدولة الحمداني (٣٥٦ - ٣٨١ هـ / ٩٦٧ - ٩٩١ م)، حيث قام في عام ٣٦٧ هـ /

(١) الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ١٥٥.

(٢) مشهد الذكّة: يقع في غربي حلب، وسمي بهذا الاسم لأن سيف الدولة كانت له ذكّة علي الجبل المطل علي المشهد يجلس عليها للنظر إلي حلبة السباق. وسوف نعرض كتابات ابن أبي طي عن هذا المشهد ضمن غيره من المشاهد في فصل كتابات ابن أبي طي عن حلب. (ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١ (حلب)، ص ١٤٧).

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٤) أورد ابن العديم آراء أخرى ذكرت أنه كان في عام ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ - ٩٨٠ م أو في عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ - ٩٦٩ م. (زبدة الحلبي، ج ١، ص ١٧٢).

٩٧٧-٩٧٨ م^(١) بتغيير الأذان في حلب وزاد فيه عبارة: «حي على خير العمل»

محمد وعلى خير البشر»^(٢)، وهي من شعائر الشيعة الخاصة بالأذان^(٣).

وقد استمرت سياسة التسامح مع الشيعة من قبل السلطة الحاكمة في حلب حتى بعد انتهاء حكم الدولة الحمدانية، ولهذا علا شأن الشيعة في عهد دولة بني مرداس (٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٤ - ١٠٨٠ م) وقد ظهر ذلك من خلال ما أورده «ياقوت الحموي» عن الفقهاء في حلب في عام ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ - ١٠٤٩ م حيث ذكر أنهم كانوا يفتنون فيها على مذهب «الشيعة الإمامية»^(٤).

وقد أدت سياسة التسامح هذه إلى زيادة أعداد الشيعة الإمامية في حلب بعد ذلك، حيث ذكر ابن أبي طي في أحداث عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ - ١١١٦ م: «أن أهل حلب كان أكثرهم إمامية»^(٥)، وأكد رأيه هذا «عز الدين بن شداد» في إحدى رواياته في عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م، وأوضح أن أهل حلب «كان الغالب عليهم.. التشيع»^(٦).

ولعل ذلك كان من الأسباب التي جعلت الدولة الأتابكية في حلب في عهد الملك

(١) أهتم الشيعة بإضافة «حي على خير العمل» في الأذان والإقامة لأنها كانت مدرجة فيه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي خلافة أبي بكر الصديق، ثم أسقطت منه في خلافة عمر بن الخطاب. (الشوكاني: نيل الأوطار، ج ٢، ص ٤٧؛ السيد أمير الكاظمي: الشيعة في عقائدهم، ص ١٢٤).

(٢) ابن العديم: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٢.

(٣) معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٣. (أورد ياقوت هذا الخبر عن رسالة «ابن بطلان المتطيب» إلى هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في دولة بني مرداس)؛ السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ١، ق ٢، ص ٤١١.

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٩١ (مخطوط).

(٥) الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ٢٤١ (قسم حلب).

(٦) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٤٦٨؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

العادل نور الدين محمود بن زنكى (٥٤١ - ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤ م) تتخذ سياسة أخرى تجاه الشيعة لتحد من انتشار مذهبهم في حلب، فقام لذلك نور الدين محمود في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م بتغيير الأذان في حلب ومنع المؤذنين من قولهم: «حى على خير العمل» في آخر الأذان، وصدرت أوامره بتنفيذ هذا القرار بشدة وصرامة^(١).

ولقد كان والد ابن أبي طي في ذلك الوقت من كبار زعماء الشيعة في حلب، ولهذا اهتم ابن أبي طي بالكتابة في هذا الموضوع، وأمدنا بالكثير من التفاصيل المهمة التي انفرد بها، وأوردها في كتابه «معادن الذهب في تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب» وذكرها عنه المؤرخ ابن الفرات في كتابه تاريخ الدول والملوك، وقد عرضنا تفاصيل رواية ابن أبي طي عن هذا الموضوع ضمن كتاباته عن عهد نور الدين محمود في فصل الدولة الأتابكية، وسوف نذكر هنا ملخصاً لموقف نور الدين محمود من الشيعة.

أوضح ابن أبي طي في مقدمة روايته عن هذا الموضوع أن نور الدين محمود كان عند بداية ولايته حلب في عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، يبغى الاستمرار في سياسة التسامح التي اتبعتها السياسات السابقة تجاه الشيعة في حلب، وأنه لتأكيد ذلك قام بزيارة أحد المشاهد المقدسة لدى الشيعة في حلب، وهو مشهد الدكة.

قال ابن أبي طي: «حدثني أبى قال: كان نور الدين في ابتدا أمره (بخار) على رأى أبيه في إكرام الحلبيين، وتركهم والتظاهر بمذهبهم من الصلاة في «شرقية الجامع»^(٢)، و«أذان حى على خير العمل» في منابر حلب، ومنارة الجامع والقلعة والاستكثار منهم، وفي أثناء دخوله إلى حلب، ركب إلى مشهد مشهد الدكة زائر الضريح المدفون فيه، وأقام فيه بعض يوم»^(٣).

(١) C. CAHEN : une chronique chiite au temps des croisades , p. ٢٦٥ .

(٢) كان هذا المكان مخصص للشيعة بجامع حلب ، أما السنة فكان يُؤذن لهم في «شالية الجامع تحت المنارة» . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣١٠ ، ج ٣ ، ص ٢٩) .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٦٢ .

ثم تناول ابن أبي طي بعد ذلك التأثيرات الداخلية والخارجية التي تعرض لها نور الدين محمود منذ ولايته حلب في عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، والتي كان لها دور كبيراً بعد

ذلك في تغيير سياسته تجاه الشيعة في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٦ م، وبمعنى آخر، انفرد بتوضيح المدة التي استغرقها نور الدين محمود حتى أصدر هذا القرار، وأنه لم يتم فجائياً، وإنما استغرق التفكير فيه عامين، فأوضح أن كبار زعماء السنة في حلب حاولوا التأثير على نور الدين محمود بعد ولايته حلب، ولكنه لم يقتنع في البداية برأيهم، فقال: «وكان اجتمع إلى الملك العادل نور الدين جماعة أهل السنة من حلب والقاضي «ابن الشهرزوري الأعمور»، و«ابن الطرسوسي»، وقالوا له في أمر الحلبيين أشياء فلم يقبلها»^(١).

وبعد فشل هذه المحاولة، استمرت جهود ابن الطرسوسي الرامية إلى قمع المذهب الشيعي في حلب، وحاول بعد ذلك التأثير على نور الدين محمود من خارج حلب، ففى

عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م قام أثناء سفره رسولاً عن نور الدين محمود إلى دمشق لعقد مصاهرة سياسية بين حلب ودمشق، بمحاولة جذب «معين الدين إتر» - الحاكم الفعلي لبلد - إلى صف السنة؛ كذلك عمل أيضاً على جذب الفقيه «برهان الدين البلخي» - الذي كان مقيماً في دمشق في ذلك الوقت - ومن الواضح أن جهوده أثمرت معه حيث سيلعب الفقيه برهان الدين بعد ذلك دوراً كبيراً في تنفيذ قرار نور الدين محمود بمنع شعائر الشيعة في حلب في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، ثم أوضح ابن أبي طي بعد ذلك الدور الذي لعبه ابن الطرسوسي وغيره من كبار السنة في حلب مع نور الدين محمود.

قال ابن أبي طي: «وقال ابن الطرسوسي أيضاً للملك معين الدين صاحب دمشق: يجب أن تنكر أنت هذه الحال على نور الدين، فرد الملك معين الدين الرسالة، وقال: ما أزوج بتي لمن يفعل في بلده كيت وكيت، فرجع ابن الطرسوسي ومن كان معه في الرسالة، وقالوا: للملك العادل نور الدين ما قاله لهم صاحب دمشق، وما شنع عليهم به وعظموا

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦٣.

عليه الحال، وهونوا عليه أمر الحلبيين، وصر فهم عن ما هم عليه، وضمنوا له أنه لا يتأذى بذلك..... وأن الملك لا يتأثر بذلك، وحملوه إلى أن أمر منع الحلبيين من ذلك»^(١).

فصدر قرار نور الدين محمود بمنع شعائر الشيعة في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وأمدنا هنا أيضا ابن أبي طي بالكثير من التفاصيل المهمة التي انفرد بذكرها، وساعده على ذلك أن كبار أفراد أسرته كانوا شهودا عيان على تلك الأحداث، كذلك انفرد ابن أبي طي بتفاصيل الدور الذي قام به الفقيه برهان الدين البلخي في تنفيذ هذا الأمر، وكان بعض المؤرخين قد أشار فقط إلى هذا الدور^(٢).

قال ابن أبي طي: «وفيها أخذ برهان الدين البلخي في الاشتداد في إنكار مذهب الشيعة، وجمع نور الدين جماعة من مقدميهم واعتقلهم في القلعة في «برج الزيت» وأجمع نور الدين على إيقاع المكروه بهم فراءى تلك الليلة مناما هآله فأمر بإطلاقهم، ثم..... فأمر بنفيهم وهم: «الفقيهان الصوريان» والفقيه «فضايل بن صفيل»، وهو جد أمي، والفقيه «محاسن بن ظافر»، عمي، ووالدي أبو طي النجار، وجماعة كثيرة»^(٣).

ثم ختم ابن أبي طي كتاباته عن هذا الموضوع بتوضيح الدور الذي قام به الفقيه برهان الدين البلخي مع الشيعة في حلب، فقال: «وتجرد برهان الدين البلخي الشريعة..... والتجاهر بالقبايح المنكرة، وأوجب على كل..... قادر متمكن إنزال البأس بهم والعقاب لهم، وجرت في أمر هذه المسائل خطوب عظيمة من الإمامية والإسماعيلية وأهل السنة يطول شرحها»^(٤).

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ورقة ٦٣؛ ٢٦٤، p. CAHEN : Op. Cit.
 (٢) ابن العديم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٧٩؛
 العبر، ج ٣، ص ٦؛ النعمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٨؛ العماد الحنبلي: شذرات الذهب،
 ج ٤، ص ١٤٨.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ورقة ٩٧؛ ٢٦٥، p. CAHEN : Op. Cit.

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٤، ورقة ٩٨.

هكذا تم تنفيذ قرار نور الدين محمود بمنع شعائر الشيعة في حلب في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، وقد ظل على موقفه المتشدد هذا تجاه الشيعة طوال عهده، وقد أذعن الشيعة لهذا القرار على مضض، وكانوا دائما في حالة ترقب وانتظار فرصة مواتية للتذمر، وقد واتتهم هذه الفرصة في عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م عندما أصيب نور الدين محمود بمرض كاد أن يودي بحياته، فدار حيثذ صراعا بين زعماء السنة والشيعة في حلب، وانتهى بنفى الكثير من زعماء الشيعة إلى حران، ومن بينهم والد ابن أبي طي^(١).

ثم تجدد الصراع بين السنة والشيعة في حلب بعد وفاة نور الدين محمود في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، وقبل وصول ولده «الملك الصالح إسماعيل» (٥٦٩ - ٥٧٧ هـ / ١١٧٤ - ١١٨١ م) من دمشق لولاية حلب، ثم ما لبث أن انتهى بعد وصول الملك الصالح إلى حلب، حيث أجبرته الظروف الخارجية إلى تغيير سياسة والده التي اتبعتها مع الشيعة في حلب منذ عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، عندما تعرضت حلب في شهر جهادى الآخرة عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م لحصار شديد من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي وخشى الملك الصالح من أن يتخذ الشيعة في حلب موقفا مغائرا ويرفضون الدفاع عن حلب، ولهذا وافق على كل ما طلبوه لكسب ولائهم. وقد انفرد ابن أبي طي بنص مهم تناول فيه تفاصيل هذا الموضوع^(٢)، وكان والده أحد شهود العيان فيه فقال: «وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح أنه يعيد إليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة، وأن يُجهر بـحَى على خير العمل، والأذان والتذكير فى الأسواق؛ وقدام الجنائز بأسماء الأئمة»^(٣).

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٣، ج ٥، ورقة ١٠٩ - ١١٠؛ op. Cit. : C. CAHEN . ٢٦٦-٢٦٧ .

(٢) ألمح ابن العديم إلى بعض الامتيازات التي منحها الملك الصالح إسماعيل للشيعة فقال: «وُعطي الشيعة الشرقية في المسجد الجامع، فكانوا يجتمعون بها للصلاة». ولكنه اختلف مع ابن أبي طي في توقيت منحهم هذه الامتيازات. فذكر أنها كانت أثناء حصار صلاح الدين الثاني لحلب في شوال عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م. (زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٩).

(٣) يهتم الشيعة بذكر أسماء الأئمة عند دفن الميت، فيقوموا أولا بتلاوة أسماء الأئمة واحدا تلو الآخر حتى زمان المتوفى، وبعد انتهاء الدفن يظل أحد المقرئين للمتوفى ويعيد قراءة أسماء الأئمة مرة أخرى. (العالمي: وسائل الشيعة ومستدركاتهما، ج ٤، ص ٤٥ - ٤٨، ٧٩).

الاثني عشر، وأن يصلوا على أمواتهم «خمس تكبيرات»^(١)، وأن تكون عقود الأنكحة إلى الشريف «الطاهر أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني»^(٢)، وأن تكون العصبية مرتفعة، والناموس وازع لمن أراد الفتنة؛ وأشياء كثيرة اقترحوها عما كان قد أبطله نور الدين رحمه الله. فأجيبوا إلى ذلك. فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره بحى على خير العمل وصلّى إلى الشرق «مسبلاً»^(٣)، وصلّى وجوه الحلبيين خلفه، وذكروا في الأسواق وقدام الجنائز بأسماء الأئمة، وصلوا على الأموات خمس تكبيرات، وأذن للشريف في أن تكون عقود الحلبيين من الإمامية إليه، وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه»^(٤).

وقد ظلت سياسة التسامح التي اتبعها الملك الصالح إسماعيل تجاه الشيعة مستمرة طوال عهده (٥٦٩-٥٧٧ هـ / ١١٧٤-١١٨١ م)، وولد المؤرخ ابن أبي طي في ظل هذه السياسة في شوال عام ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م^(٥)، واستمرت هذه السياسة أيضا في فترة حكم أبناء عم الملك الصالح إسماعيل في حلب «عز الدين مسعود وعماد الدين بن مودود بن زنكي» (٥٧٧-٥٧٨ هـ / ١١٨١-١١٨٣ م)^(٦).

ثم خضعت حلب لسلطة الدولة الأيوبية منذ شهر صفر عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، ونشأ المؤرخ ابن أبي طي وعاش طفلة حياته في ظل هذه الدولة حتى وفاته - حسب

(١) التكبير عند السنة في صلاة الجنائز «أربع تكبيرات»، أما الشيعة فيكون التكبير لديهم «خمساً» علي عدد الصلوات في كل يوم. (الشوكاني: نيل الأوطار، ج ٣، ص ٧١-٧٣؛ العامل: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤١٠-٤١١).

(٢) الشريف الطاهر أبو المكارم حمزة بن علي زهرة الحسيني الإسحاقى الحلبي: من رؤوس الشيعة في حلب، ولد في رمضان عام ٥١١ هـ / ١١١٨ م، ألف كتاب «قيس الأنوار في نصره العترة الأخبار» و«مسألة في نفي الروية واعتقاد الإمامية ومخالفهم ممن يتسبب إلى السنة والجماعة». توفي في رجب عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م. (ابن شهر آشوب: معالم العلماء، ص ٤٠؛ السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ٢٨، ص ١٧٩-١٨٤).

(٣) مُسَبَّل: يقال للرجل إذا كان طويل اللحية. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ١٦٤).

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٠٩-٦١٠.

(٥) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٥.

(٦) ابن العديم: المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٤.

التاريخ الذي رجحه الكتبي - في عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣ م^(١).

ومن الواضح أن سياسة الدولة الأيوبية في حلب تجاه الشيعة لم تتغير، فلم نجد أية إشارة تشير إلى تعصب الدولة أو اتخاذها موقفا متشددا تجاه الشيعة، وعلى العكس من ذلك اشتهر عن السلطان صلاح الدين الأيوبي أنه واصل سياسة التسامح مع الشيعة^(٢)، ومن الواضح أن هذه السياسية استمرت في فترة «الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين»

(٥٨٣ - ٦١٣ هـ / ١١٨٧ - ١٢١٦ م)، وظهر لنا ذلك من اهتمامه بكبار الشيعة بحلب فاهتم بابن أبي طي و«استقر في شعرائه»^(٣)، كما أهتم أيضا بأحد كبار علماء الشيعة عندما استقر في حلب وهو «الأشرف بن الأعز المعروف بتاج العلي العلوي»، ووفر له ما يحتاجه من المال والطعام شهريا^(٤)، وواصل أيضا «الملك العزيز بن الملك الظاهر بن صلاح الدين» (٦١٣ - ٦٣٤ هـ / ١٢١٦ - ١٢٣٦ م) سياسة التسامح مع الشيعة، وأبلغ دليل على ذلك هو اختياره «جمال الدين علي بن يوسف القفطي»^(٥) لمنصب الوزارة بحلب

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٢) نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، ص ٥

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٨، ص ٣٨٦ (رواية ابن أبي طي)؛ الصفدي: نكت الهميان، ص ١٠٠ (رواية ابن أبي طي)؛ ابن العديم: بغية الطلب، ج ٤، ص ١٨٧٦، ١٨٨٠. تناولنا النص الكامل لرواية ابن أبي طي عن الأشرف بن الأعز وموقف الظاهر منه في فصل التراجم.

(٥) هو علي بن يوسف بن إبراهيم جمال الدين أبو الحسن ابن القفطي: أحد الكتاب المشهورين، ولد بقفط عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م، سمع الحديث بمصر وروي عن الحافظ السلفي، ثم ترك مصر وأقام بحلب، ألف العديد من المؤلفات التاريخية منها: أخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين (ست مجلدات) كتاب تاريخ المغرب، كتاب تاريخ اليمن تاريخ محمود بن سبكتين وبيته، كتاب تاريخ السلجوقية، كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس، كتاب تاريخ بني بويه، وتوفي في حلب عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م. (ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٨١ - ٣٩٧؛ الأذفوي: الطالع السعيد، ص ٤٣٦ - ٤٣٧؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج ٣، ص ١١٧ - ١١٨).

في أعوام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م^(١)، و ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م^(٢)، وكان شيعياً^(٣).

ولقد كان لهذه السياسة أثر كبير لدى المؤرخ ابن أبي طي، فاهتم بتدوين أخبار الدولة الأيوبية، وأفرد لها كتاباً مستقلة، فوضع كتابات مهمة عن تاريخ السلطان صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية في حلب، وهو بعنوان «كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين»، وكتاباً آخر خصصه لتأريخ فترة حكم الملك الظاهر بن صلاح الدين وهو «عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر»^(٤).

أسرة ابن أبي طي:

نشأ ابن أبي طي في مدينة حلب في أسرة تعتنق مذهب الشيعة «الإمامية»^(٥)، «الإثنى عشرية»^(٦)، وهو المذهب الذى كان يعتنقه غالبية أهل حلب، وقد ذكر ذلك ابن أبي طي

(١) الأدفوى: المصدر السابق، ص ٤٣٧.

(٢) ابن العديم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢١.

(٣) ذكر ياقوت أن أمه تزوجت من بني عمها العلويين، كما أورد أغابريزك الطهراني مؤلفات الوزير جمال الدين ابن الفطحي ضمن كتابه عن تصانيف الشيعة. (ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٨١؛ أغابريزك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٣، ص ٢١١-٢١٢).

(٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٥) الإمامية: إحدى فرق الشيعة الخمسة، وهم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٢).

(٦) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٨٩، ٣٤٤.

(٧) الإثنى عشرية: إحدى الفرق التي ينقسم إليها الإمامية، وأطلق عليهم ذلك لقولهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسله إبي علي بن أبي طالب. (البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٦٤).

(٨) ظهر اعتناق ابن أبي طي وأسرته مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية من خلال لروايات العديدة التي ذكر فيها الأئمة الإثنى عشر، وأضفى عليهم هالة مقدسة، وأورد ذكرهم ضمن الشعائر الرسمية لمذهب الشيعة الإمامية في حلب، فقال عند ذكره مخطوط بعض زعماء السنة في حلب ودمشق لقمع الشيعة وتحريضهم نور الدين محمود علي ذلك في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م: «فقرر

من خلال كتاباته، فأوضح في رواية مهمة أوردها في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ - ١١١٦ م،
التقسيم المذهبي في حلب فقال: «قال لي أبي:.. إن أهل حلب كان أكثرهم إمامية»^(١).

فنشأت أسرته مثل أكثر أهل حلب تدين بهذا المذهب، بل نستطيع أن نقول من خلال
ما وصلنا عن أسرته أنهم كانوا من كبار فقهاء الشيعة الإمامية في حلب، حيث أمدنا ابن
أبي طي في كتاباته ببعض التفاصيل التي توضح مكانة أسرته الدينية في حلب، كما أورد
أسماء بعض منهم:

١ - عم والده - أسد بن علي الغساني أبو الفضل الحلبي:

ذكره في كتاباته عن تراجم الشيعة، وأوضح أنه درس الأصول على مذهب الإمامية
وألف بعض الكتب في فضائل آل البيت^(٢).

٢ - عمه - محاسن بن ظافر:

كان من كبار فقهاء الشيعة في حلب، وهو من الفقهاء الذين أوردهم ابن أبي طي عند
ذكره للإجراءات التي اتخذها نور الدين محمود مع كبار الشيعة في عام ٥٤٣ هـ /
١١٤٨ م^(٣).

الأمر علي أن يرسل إلي الملك العادل نور الدين ، وينكر عليه التغاضي لما يفعله الحلبيون من الآذان
والصلاة في الجامع ، وذكر الأئمة الإثنى عشر قدام الجنائز ، كما ذكر أيضا ابن أبي طي بعد وفاة نور
الدين محمود ، وعند موافقة ولده الملك الصالح إسماعيل علي إعادة شعائر الشيعة لما كانت عليه ، أن
الشيعة اشتروا عليه : « التذكير في الأسواق ، وقدم الجنائز بأسماء الأئمة الإثنى عشر » ، وكان
والده حاضرا أثناء تنفيذ تلك الشعائر كما سنوضح فيما بعد . (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ،
ص ٦١٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٦٣) .

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ (مخطوط) .

(٢) ابن حجر : لسان الميزان ، ج ١ ، ص ٤٩٨ . سنوضح المزيد عنه في فصل كتابات ابن أبي طي عن
التراجم .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ٩٧ .

٣- جده لأمه - فضائل بن صفيل:

كان أيضا من كبار فقهاء الشيعة في حلب، أشار إليه ابن أبي طي ضمن من سرى عليهم قرارات نور الدين محمود السابقة^(١)، ولكنه لم يحدد هنا أن كان جده لأمه من ناحية الأب أم الأم، ومن الراجح أنه كان جده لأمه من ناحية الأم، لأنه ذكر في رواية أخرى أسم والد أمه وهو:

٤- والد أمه - الفقيه المصري أبي منصور محمد بن أبي عبيد الله البحتري الطائي :

ذكره ابن أبي طي ضمن رواية أوردها على لسان أبيه، وفيها ذكر والده ظروف ولادة ابن أبي طي، فقال والده: «تزوجت ابنة الفقيه المصري أبي منصور محمد بن أبي عبيد الله البحتري الطائي ورزقت منها ولدا سميت «عليا»، فعمر سنة وأياما ثم مات..... ثم لم يبعد الزمان حتى تبين لي حمل الزوجة»^(٢).

٥- والد ابن أبي طي:

كان والد ابن أبي طي يتمتع بمكانة دينية كبيرة في حلب، وقد توافرت لدينا المزيد من المعلومات التي ذكرها ابن أبي طي عنه ونبدأ بذكر:

اسم ونسب والد ابن أبي طي:

لاحظنا أثناء بحثنا في كل الكتابات التي كتبت اسم المؤرخ ابن أبي طي قديما وحديثا أن كتابة اسم والده ونسبه يختلف من كتاب لآخر، وقد تبين لنا أن اسم والده كان اسما مركبا من اسمين، لأنه لم يكن يفصل بين الاسمين بكلمة «ابن» الاسم الأول: «أبي طي»، أما الثاني فكان يكتب مختلفا في معظم الكتب، فكان يكتب: «حميد أو حميدة أو أحمد أو

(١) المصدر نفسه والورقة ؛ CAHEN : La Syrie De Nord , p.٥٥ C.

(٢) السيد محسن الأمين : المرجع السابق ، ج ٥٢ ، ص ١٦ .

حامد»، وكان يضاف إليه أحيانا صنعتة، وهي «النجارة»، فيقال: النجار. أما باقى نسبه فقد اتفق كثير من المؤرخين في أنه كان «ظافر بن على بن عبد الله الغساني الحلبي»^(١)، وهناك من رفع نسبه إلى أبعد من ذلك، فقيل: «ظافر بن على ابن الحسين بن على بن محمد بن الحسن ابن صالح بن على بن سعيد بن أبي الخير الطائي البخاري الحلبي»^(٢).

وقد حسم ابن أبي طي الخلاف في كتابة اسم والده، حيث ذكره في عدة مواضع عند استشهاده ببعض الروايات التي كان يعتمد عليه فيها، فقال في موضع: «قال والدى «أبو طي النجار»^(٣)، وفي موضع آخر في إحدى نسخ كتابه عن سيرة السلطان صلاح الدين: «حدثني والدى حميد النجار»، وفي النسخة الأخرى، قال: «حدثني والدى أبو طي حميد النجار»^(٤). وفي هذه النسخة الأخيرة تأكيد من ابن أبي طي على أن

والده كان يسمى «أبو طي حميد النجار». وكان يختصره أحيانا إلى أبى طي النجار وأحيانا أخرى إلى حميد النجار. وهذا يوضح أن ابن أبي طي أخذ شهرته من اسم والده.

(١) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٣٧٧؛ ج ٩، ٤١٦٧؛ الكتيبي: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج ١، أحداث عام ٥٠١ هـ؛ المقرئ: المقفى، ج ٦، ص ٣٤٣؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ٣٤٤؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٨١؛ الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٢٦٨؛ الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء، ج ٤، ٣٧٨؛ CAHEN: op. cit., p. ٥٥ C.؛ الزركلي: الأعلام، ج ٩، ص ١٧٥؛ أغابرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٣، ص ٢١٩؛ نظير حسان سعداوي: لمؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ص ٣؛ الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٢٣٤ - ٢٣٥؛ عبد الصاحب عمران الدجيلي: أعلام العرب، ج ٢، ص ٥٦؛ السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ٥٢، ص ١٥؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ١٣، ص ١٩٥.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤؛ عبد الصاحب: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٦.

(٣) أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ق ١، ص ١٤٦.

(٤) كتب د: محمد حلمي أحمد محقق كتاب الروضتين في هامش رقم (١): «في «ك» وهي رمز لأحد نسخ الروضتين: «أبو طي حميد النجار». (المصدر نفسه، ص ٢٧، طبعة دار الكتب).

كما اهتدينا إلى ضبط جزء كبير من سلسلة نسب والد ابن أبي طي، من خلال كتابات ابن أبي طي عن نسب عم والده «أسد» الذي ذكرناه من قبل، فقال بعد أسد «علي بن عبد الله بن أبي الحسن بن محمد بن الحسن الغساني الحلبي»^(١). ونستخلص من هذا كله أن اسم والد ابن أبي طي ونسبه هو: «أبو طي حميد النجار بن ظافر بن علي بن عبد الله بن أبي الحسن بن محمد بن الحسن الغساني الحلبي».

مولد والد ابن أبي طي:

لم تتوافر لدينا معلومات دقيقة عن تاريخ العام الذي ولد فيه والد ابن أبي طي، ولكننا وقفنا على حادثة كتبها ابن أبي طي تشير إلى الفترة التي ولد فيها، حيث أورد في أحداث عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م رواية توضح تحويل إحدى الكنائس في حلب إلى مسجد وروى ابن أبي طي هذه الحادثة عن والده، وذكر أن جده كان يصحب والده إلى هذا المسجد، ليصلي فيه، وليقرأ القرآن على أحد الأئمة فيه، وأن والده بعد أن يفرغ من الصلاة وأخذ الدرس كان يقوم بمحو بعض الآثار المتبقية من الكنيسة. قال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال: أذكر وقد أخذني والدي إلى هذه الكنيسة، وقد عمرت مسجداً، وفيها رجل من أهل حلب يقال له «يوسف المصري» وكان إماماً في علم الدين، وكان يقرئ القرآن فيها، فكانت أقرأ، عليه فإذا فرغنا من القرآن... في جوانب الكنيسة، فنكشط الصور ونقلع من حيطانها أشياء من الرخام والفسيفساء، وصيرت هذه الكنيسة مدرسة أوقف عليها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وقوفاً كثيرة وتسمى النورية»^(٢).

وهذا النص يشير إلى أن والده كان لا يزال صغيراً في هذه الفترة، وكان قد بلغ السن الذي يتلقى فيه العلم ويقرأ القرآن، ويميل فيه أيضاً إلى اللعب، ونرجح أنه كان ما بين الخامسة أو السادسة من عمره حتى الثانية عشر أي أن مولده كان في العشر سنوات الثانية

(١) ابن حجر: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٨.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢، ورقة ٦٧.

من القرن الثاني عشر الميلادي، وفي مطلع القرن السادس الهجري. وكانت بعض الدراسات الحديثة قد بحثت في تاريخ مولده، وحددوا فترات تقريبية لهذا التاريخ، فذكر كلود كاهن أن ولادته كانت في العشر سنوات الأولى من القرن الثاني عشر الميلادي^(١)، كما قيل أنه ولد في مستهل القرن الثاني عشر الميلادي^(٢)، وقيل أيضا

في الثلث الأول من القرن الثاني عشر الميلادي^(٣).

دراسة والد ابن أبي طي:

نشأ والد ابن أبي طي كغيره من أبناء الأسر المسلمة على قراءة القرآن الكريم وحفظه، وقد ذكر ابن أبي طي في معرض حديثه في أحداث عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م عن موضوع الكنيسة التي تحولت إلى مسجد أن والده كان يقرأ القرآن في هذا المسجد على أحد الأئمة من أهل حلب وهو «يوسف المصري» وذكر عنه «أنه كان إماما في علم الدين»^(٤)

كما ذكر ابن أبي طي في أثناء كتاباته عن فقهاء الشيعة أن والده درس على الفقيه «الحسن بن إبراهيم بن محمد بن جعفر الحمصي»، وكان فقيها في مذهب الشيعة الإمامية، وأخذ عنه والده بعد ذلك^(٥).

صناعة والد ابن أبي طي:

كان والد ابن أبي طي يعمل نجارا، وقد ذكر «الكتبي» أنه كان ماهرا في صناعته،

(١) C. CAHEN : La Syrie De Nord , p . ٥٥

(٢) الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٣) نظير حسان سعداوي : المرجع السابق ، ص ٣ .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٦٧ .

(٥) ابن حجر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

ولهذا كان «مقدما على بكل نجار بحلب»^(١)، ولهذا ذكر كلود كاهن أنه كان رئيسا لطائفة النجارين بحلب^(٢).

وقد لاحظنا أيضا انه بالإضافة إلى ما كان يقوم به والد ابن أبي طي من أعمال، أنه كان مهتما أيضا بدراسة التاريخ، وظهر ذلك من خلال حرصه على تسجيل الأحداث التاريخية، وقد ذكر ابن أبي طي في إحدى رواياته أنه اعتمد على «مجموع» ألفه والده^(٣)، ومن الواضح أنه جمع فيه كثيرا من الأحداث التي عاصرها، وصارت بعد ذلك مصدرا هاما من مصادر ولده، هذا فضلا عما كان يحدثه به من أخبار.

مكانة والد ابن أبي طي الدينية في حلب:

بلغ والد ابن أبي طي مكانة وشهرة كبيرة في زعامة الشيعة الإمامية في حلب، وقد وقفنا على هذه المكانة التي بلغها والده من خلال عدة أحداث وردت في كتابات ابن أبي طي عن الفقيه «محمد ابن علي بن شهر آشوب المازندراني» ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م^(٤)، حيث ذكر أنه عند وصول هذا الفقيه الكبير إلى حلب نزل على والده في داره، وظل مقبلا معه وزوجه ابنة أخته^(٥).

نفى والد ابن أبي طي من حلب في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م:

نظرا للمكانة الدينية التي كان يحتلها أبو طي النجار في حلب سرى عليه قرار نور الدين محمود بنفى زعماء الشيعة من حلب في هذا العام، وقد أمدنا ابن أبي طي بتفاصيل هذا الموضوع في عدة مواضع متفرقة من كتاباته، فذكر حادثة النفي في أحداث عام ٥٤٣

(١) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٢) (٢) La Syrie De Nord, p. ٥٥ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٩.

(٤) أوردنا الترجمة التي ذكرها له ابن أبي طي في فصل التراجم.

(٥) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٩.

هـ / ١١٤٨ م، فقال: «جمع نور الدين جماعة من مقدميهم (الشيعة) واعتقلهم في القلعة في برج الزيت، فراءى تلك الليلة مناما هالكه فأمر بإطلاقهم ثم... فأمر بنفيهم وهم:... ووالدى أبو طي النجار وجماعة كثيرة»^(١).

ثم عاد والد ابن أبي طي مرة أخرى إلى حلب - ولم نعلم تاريخ عودته - وبعد عودته بلغ مكانة كبيرة في زعامة الشيعة في حلب، وظهر ذلك من خلال أحد النصوص المهمة التي أوردها ابن الفرات، وإن كان لم يصرح فيها أنه اعتمد على ابن أبي طي إلا أنه أورد تفاصيل مهمة عن دور والد ابن أبي طي في الفتنة التي قامت في حلب في عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م أثناء إصابة نور الدين محمود بمرض كاد أن يودي بحياته، وقد صرح ابن الفرات في هذا النص أن والد ابن أبي طي كان: «رأس الشيعة بحلب»، وأوضح دوره القيادي في أحداث الفتنة، والتي كانت بعد ذلك سببا في نفيه إلى «حران» بعد شفاء نور الدين محمود، وتولى هناك «الحسبة»^(٢).

ثم أوضح ابن أبي طي في موضع آخر في أحداث عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م أثناء ذكره خبر القبض على «بنى الدابة» (أخوة نور الدين محمود في الرضاعة) وعز الدين

جرديك - وهم الذين كانوا يعاونون نور الدين محمود في كل أموره - أن نفى والده تم بسبب تحريضهم له على ذلك، فقال: «وكان» أولاد الداية وجرديك «قد تعصبوا (على والده) حتى نفاه نور الدين من حلب»^(٣). ولهذا أظهر والده الفرحة بعد إلقاء القبض على بنى الداية وجرديك في هذا العام، وكتب قصيدة هجا فيها أولاد الداية وجرديك فقال:

بنو فلانة أعوان الضلالة قد قضى بذلهم الأفلاك والقدر
وأصبحوا بعد عز الملك في صنفد وقعر مظلمة يغشى لها البصر

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ورقة ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، م ٣، ج ٥، ورقة ١٠٩ - ١١٠. C. CAHEN: une chronique, pp. ٢٦٦-٢٦٨.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٠٩.

وجرد الدهر في جرديك عَزَمته والدهر لا ملجأ منه ولا وزر»^(١)

وقد أوضح «ابن الفرات» أن بنى الداية كانوا من أشد المتعصبين لمذهب السنة، وكانت بأيديهم تمشى أحوال السنة بحلب، وأنهم هم الذى حببوا إلى الملك العادل نور الدين محمود الميل إلى السنة^(٢)، وهذا يفسر لنا سبب كره والد ابن أبي طي لبني الداية.

وقد ظل والد ابن أبي طي متفيا خارج حلب لمدة لا نعلمها، ولكن من المؤكد أنه دخل حلب بعد وفاة نور الدين محمود، حيث أوضح ابن أبي طي في كتاباته عن أحداث عام ٥٧٠ هـ أن «الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين» اتبع سياسة التسامح مع الشيعة في حلب، وسمح لهم مرة أخرى بممارسة شعائهم، وقد دخل والده حلب وصلى في مسجدها في الناحية الشرقية منه و التي كانت مخصصة للشيعة، ووقف إماما وصلى الشيعة من خلفه، فقال ابن أبي طي في ذلك: «وصلى أبى في الشرقية مستبلا، وصلى وجوه الحلبيين خلفه»^(٣).

وهذا النص يعكس احتفاظ والد ابن أبي طي بمكانته الدينية في حلب والتي ازدادت مع مرور الأعوام.

هذه الأسرة هي التي نبت فيها المؤرخ ابن أبي طي، وكما رأينا فقد كان لوالده مكانة دينية وصناعية كبيرة في حلب ولهذا كان له تأثيرا كبيرا على ابن أبي طي وكان أحد مصادره المهمة في كتاباته التاريخية، وسوف نوضح ذلك في الصفحات القادمة.

مولد ابن أبي طي:

اتفقت آراء معظم المؤرخين القدامى والمحدثين على أن ولادة ابن أبي طي كانت في

(١) المصدر نفسه، ص ٦٠٨.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ق ١، ص ١٠٧ (المطبوع).

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦١٠.

مدينة حلب^(١)، في عام ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م^(٢)، وقد حدد ابن أبي طي تاريخ مولده في إحدى الروايات التي أوردها عن والده، وذكر أن مولده كان في أوائل شهر شوال من هذه السنة^(٣)، كما ذكر في نفس الرواية أيضا أن والده أسماه يحيى^(٤)، وكناه «أبا الفضل»^(٥)، وكان ابن أبي طي يكنى أيضا «بأبي زكريا»^(٦) و«متجب الدين»^(٧).

وقد روى ابن أبي طي عن والده المزيد عن التفاصيل حول مولده، وبدأ روايته بمقدمة أوضح فيها أن والده كان لا يعيش له أبناء ذكور قبله، وأورد عدد من الرؤى التي بشرت والده بقرب مولد الولد الذي طال انتظاره. فقال: «حدثني والدي، رحمه الله، قال: كان لا يعيش لي ولد، وكنت أريهم إلى سبع أو خمس ثم يموتون، ولقد بُشرت بخمسة و عشرين ولدا فجعت بهم، وكنت أكثر الابتهاال إلى الله في أن يرزقني ولدا، ويمن علي بحياته. ثم ماتت الزوجة، فأريت في النوم كأنني قد دخلت إلى مسجد عظيم فيه جماعة أعرفهم من الحلبيين، فسلمت عليهم فقام إلى رجل منهم فأخذ بيدي، ثم أجلسني في زاوية من زوايا المسجد، وناولني ريحانة لم أر أركي ريحانا منها، فلما حصلت الريحانة في يدي، إذا هي قد أظهرت وردا فجعلت أعجب من حسنة وزكاه رائحته فقبلت منه وردة وسقطت، فحزنت

(١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ٣٤٤.

(٢) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ٣٤٤؛ نظير حسان سعداوي: المرجع السابق، ص ٣؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٤؛ السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٥.

(٣) السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج ١؛ أحداث عام ٥٠١ هـ؛ المقرئبي: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٣؛ محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٥) المقرئبي: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٣؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ٣٤٤؛ محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٦) ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١ قسم حلب، ص ٣٥٧؛ الغزي: نهر الذهب، ج ١، ص ٢٦٨.

(٧) ابن شداد: المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ٣٥٧؛ المقرئبي: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٣.

لها، فقال لى الرجل: ليهتك إن لن تفقد غيرها، فقلت للرجل: من أنت أسعدك الله؟ فقال: سالم فاستيقظت و أنا فرح فعبرت المنام فقلت الريحانة زوجة سالمة، والورد الذى فيها أولاد، والوردة التى ذبلت أنى أفقد أحدهم، واسم الرجل سالم بشارة بسلامة الأولاد الذين يأتون فيما بعد. وفى تلك الأيام تزوجت ابنة الفقيه المصرى «أبى منصور محمد بن أبى عبيد الله البحترى الطائى»، ورزقت منها ولدا سميت «عليا»، فعمر سنة وأياما ثم مات فعظم به مصابى، ويشست من الولد.

ثم لم يبعد الزمان حتى تبين لى حمل الزوجة فأشفقت من ذلك، واغتممت ولازمت الدعاء فى كل صلاة، وكان قد بلغنى أنه إذا أراد الإنسان طلب الولد قال فى جوف الليل فى دعاء الوتر: «رب لا تدرنى فردا وأنت خير الوارثين، رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، اللهم لا تدرنى فردا وحيدا مستوحشا فيقصر شكرى عند تفكيرى، بل هب لى من لدنك أنيسا وعقبا ذكورا وإناثا، أسكن إليهم فى الوحشة، وأنس بهم فى الوحدة، وأشكرهم عند تمام النعمة، يا وهاب، يا عظيم اعطنى ما سألتك عاقبة منا منك، وارزقنى خيرا، حتى أنال منتهى رضاك عنى، فى صدق الحديث، وشكر النعمة، والوفاء بالعهد، إنك على كل شى قدير». وكنت ألزم ذلك^(١).

ثم روى ابن أبى طى كيف بُشر والده بمولده فقال: «فلما كان أوائل «شوال»^(٢) رأيت بعد أن صليت وردى، وكنت يومئذ أنام تحت السماء «لزم القبط»^(٣)، كأن إنسانا خرج لى من الحائط فجاء حتى وقف من خلفى من جهة الشمال، ثم استفتح فقرا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

(١) السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٥-١٦.

(٢) يقابل فى جدول مقابلة السنين الهجرية والميلادية شهر «مارس» عام ١١٨٠ م.

(٣) القِطُّ: صميم الصيف. ويكون خلال شهور: يونيو ويوليو وأغسطس. وهذا يخالف ما أثبتناه فى الهامش السابق، وهذا يعنى أن والد ابن أبى طى لم يكن دقيقا فى روايته عن وصف حالة الجو وقت ولادة ابن أبى طى فى شهر شوال. وعلى العكس من ذلك فإن ولادة ابن أبى طى فى شهر مارس يعنى أنه ولد ما بين الشتاء والربيع (ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٣٧٢-٣٧٣)

الرَّحِيمِ كَهَيْعَصَ إِلَى قَوْلِهِ اسْمُهُ يَحْيَى^(١)، ثُمَّ أَمْسَكَ، فَاسْتَيْقِظَتْ، وَقَلَّتْ هَذِهِ بَشَارَةٌ بِوَلَدٍ يَكُونُ اسْمُهُ يَحْيَى، قَدْ سَاءَ اللَّهُ بِذَلِكَ، بَشَارَةٌ بِحَيَاتِهِ، فَشَكَرَتْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ. فَغَلِبَنِي النَّوْمُ، فَرَأَيْتُهُ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ أَمَامِي، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ وَقَرَأَ «سُورَةَ مَرْيَمَ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَوَيْرُثُ مِنْ آئَالِ يَعْقُوبَ»^(٢) ثُمَّ أَمْسَكَ فَاسْتَيْقِظَتْ، وَقَلَّتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ هَذِهِ بَشَارَةٌ لِي بِحَيَاتِهِ، وَأَنَّهُ يَرِثُنِي، فَشَكَرْتُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ،

وأضاء الصبح فقضيت صلاتي، فلما كانت الليلة التي ولدت يا ولدي فيها أخذ عيني النوم، فسمعت كأن قارئاً يقرأ السورة بعينها حتى بلغ إلى قوله تعالى: «وَأَتَيْنَاهُ»^(٣) الْحُكْمَ صَبِيًّا»^(٤)، فَاسْتَيْقِظْتُ وَالنِّسَاءُ يَصْحَنُ لَكَ الْبَشْرَى هَذَا وَلَدٌ ذَكَرَ، فَشَكَرْتُ اللَّهُ تَعَالَى»^(٥).

ثم قال ابن أبي طي قال أبي: «واستدعيتك إلى وأذنت في أذنك اليمنى وأقمت في اليسرى، وحنكتك بشئ من تربة الحسين بن علي عليهما السلام في ماء عذب، وسميتك يحيى وكنيتك «أبا الفضل»، وكان مولدك أوائل شوال سنة ٥٧٥ هـ في السنة التي «ولدت»^(٦) فيها الإمام «الناصر»^(٧) رضي الله عنه»^(٨).

(١) سورة مريم الآية من ١ إلى ٧ .

(٢) الآية من ١ إلى ٦ .

(٣) أخطأ السيد محسن الأمين في كتابة هذه الكلمة، والصواب: «أتيناه». (سورة مريم: آية ١٢؛ السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ٥٢، ص ١٦).

(٤) سورة مريم: الآية ١٢ .

(٥) محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٦-١٧ .

(٦) نري أن المقصود هنا كلمة «ولي»، لأن الخليفة العباسي «الناصر لدين الله» تولى الخلافة العباسية في شهر ذي القعدة عام ٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م. (السيوطي: الخلفاء، ص ٤٤٨).

(٧) هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء: وصفه والد ابن أبي طي بالإمام، لأنه كان كما ذكر السيوطي: «يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه». واستمرت فترة خلافته حتى وفاته في رمضان عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م. (الخلفاء، ص ٤٥١-٤٥٢).

(٨) السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧ .

وقد أضاف المؤرخ «الكتبي» نقلا عن ما رواه عن «ياقوت الحموي» بعض التفاصيل الأخرى حول مولد ابن أبي طي، فذكر أنه في ليلة مولده: «حملته جارية وصعدت به السطح ليلة الميلاد، وكانت شديدة البرد»^(١)، فأخذه «اضطرام»^(٢) و «إفحام»^(٣) و ابيضت عيناه جميعا، ولازمه الرمذ إلى أن احتلم فتجلت مما كان فيها من البياض»^(٤).

شيوخ ابن أبي طي:

تعرفنا على بعض شيوخ ابن أبي طي من خلال ما ذكره بعض المؤرخين القدامى والمحدثين عنهم، و أيضا من خلال ما أورده ابن أبي طي عنهم في مؤلفاته التي ترجم فيها لفقهاء الشيعة الإمامية^(٥)، ويأتى في مقدمتهم:

١- والده:

كان أمرا طبيعا أن يلقي الطفل يحيى اهتماما كبيرا من والده، خاصة أنه كان ولده الوحيد، ولهذا اهتم بتنشئته نشأة دينية أساسها القرآن الكريم فقرأه عليه^(٦).

٢- الأشرف بن الأعز المشهور بتاج العلى العلوى الحسيني:

من شيوخ ابن أبي طي الذين ترجم لهم، فقال: «أنى قرأت على شيوخى تاج العلى

(١) في هذه الرواية تأكيد لما ذكرناه في هامش (٣) في الصفحة السابقة عن تاريخ ولادة ابن أبي طي ما بين فصلي الشتاء والربيع .

(٢) اضطرم: أي اشتعل والتهب . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٥٦) .

(٣) إفحام : الفاحم من كل شئ الأسود بين الفحومة . (المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٩٦) .

(٤) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .

(٥) سنورد نصوص هذه التراجم ضمن كتابات ابن أبي طي الأخرى في فصل التراجم .

(٦) الكتبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛ ٥٥٤ ، C . CAHEN : La Syrie De Nord , p .

العربي : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ؛ نظير حسان سعادوي : المرجع السابق ، ص ٣ .

المذكور نهج البلاغة وكثيرا من شعره»^(١).

٣ - خليل بن خمرتكين الحلبي:

من الشيوخ الذين ذكرهم ابن أبي طي وترجم لهم، وكان من فقهاء الإمامية في حلب قال عنه ابن أبي طي: «لقبته وقرأت عليه، وأذن لي في الرواية عنه»^(٢).

٤ - رشيد الدين المازندراني:

درس ابن أبي طي عليه فقه الإمامية^(٣) عندما قام بزيارة حلب، وقد ذكره ابن أبي طي وترجم له فقال: «وكان نزوله (في حلب) على والدي، فأكرمه وزوجه بنت أخته، فربيت في حجره، وغذاني من علمه، وبصرني في ديني، وكان إمام عصره وواحد دهره»^(٤).

وبعد أن نال ابن أبي طي قسما وافرا من الدراسة، امتهن عدة أعمال منها:

النجارة:

اشتهر والد ابن أبي طي - كما ذكرنا من قبل - باحترافه صناعة النجارة، ولهذا كان أمرا طبيعيا أن يحرص على تعليم ولده الوحيد صناعته، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني أنه عمل مع والده في صناعته لفترة حقق فيها تقدما، ولكن من الواضح أنها لم تستهويه ليصبح مثل

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٨، ص ٣٨٦؛ الصفدي: المصدر السابق، ص ١٠٠؛ أغابزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١٩.

(٢) ابن العديم: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٣٧٧-٣٣٧٨.

(٣) الكشي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٤) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٩.

والده، فتركها وهو في الثانية والعشرين من عمره في عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٢ م^(١).

تعليم الأطفال:

قام ابن أبي طي بعد أن ترك صناعة النجارة بتعليم الأطفال لفترة امتدت لأكثر من ثلاث سنوات إلى ما بعد عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م^(٢)، ولم تتوافر لدينا أي معلومات حول ما كان يعلمه لهم، ومن الراجح أنه كان يلقنهم العلوم الدينية كحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف.

وبعد أن ترك ابن أبي طي صناعة النجارة وتعليم الأطفال، برع في ثلاثة أعمال، واشتهر بها كلها، فصار يعرف بالشيخ الأديب المؤرخ ابن أبي طي.

الشيخ ابن أبي طي:

لقبه بهذا القب المؤرخ ابن الفرات، وكان حريصا على ذكره قبل اسمه في كل نص يورده عنه^(٣)، وقد لاحظنا أن ابن الفرات كان يهتم عند ذكره أسماء موارده أن يذكر أيضا لقب كل منهم قبله، فعلى سبيل المثال: كان يلقب ابن خلكان «بقاضي القضاة»، وابن الجوزي «بالحافظ»^(٤).

وقد لقب ابن أبي طي بالشيخ لاهتمامه بقراءة القرآن، وقد أكد ذلك «ابن حجر العسقلاني»، وأوضح القراءة التي كان يتبعها في قراءته فقال: «قرأ القرآن، ثم جرد رواية «أبي عمر»، وأكثر رواية «نافع»^(٥)»^(٦).

(١) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ورقة ٧، ١٠ كمثل.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١١ كمثل.

(٥) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، مولي جعونة بن شعوب الشجعي المقرئ: أحد القراء

ولهذا أسس ابن أبي طي مسجدا بحلب عرف باسمه، وذكره «ابن شداد» ضمن قائمة مساجد حلب فقال: «مسجد إنشاء منتجب الدين يحيى بن أبي طي المعروف بابن النجار»^(١).

ولم يقتصر اهتمام ابن أبي طي بالقرآن الكريم عند قراءته له، فألف عدة مؤلفات في تفسيره، وأسباب نزوله، وسنورد بيان بها ضمن قائمة مؤلفاته.

الأديب ابن أبي طي:

كان ابن أبي طي أيضا أديبا يهتم بنظم الشعر، ومن الواضح انه لم يكن هاويا له، حيث تشير الدلائل إلى أنه احترف نظم الشعر، فذكر «ابن حجر العسقلاني» أنه مدح ملك حلب «الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين» (٥٨٣-٦١٣ هـ / ١١٨٧-١٢١٦ م) و«استقر في شعرائه»^(٢)، كما ترجم له «ياقوت الحموي» في مؤلفه الخاص بالأدباء^(٣)، وهذا دليل آخر على احترافه نظم الشعر.

وتوافرت لدينا بعض الأبيات التي كتبها ابن أبي طي، أهمها تلك التي نظمها في مديح آل البيت، وقد ذكر «السيد محسن الأمين» أنه كتب فيها كثيرا^(٤)، ولدينا بعض منها أوردها «الكتبي»:

السبعة، كان إمام أهل المدينة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨-٦٧٩ م بالمدينة (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٦٨-٣٦٩).

(١) المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٢) ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ١٨٧.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٥) المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

أنا في إسمار غدائر ونواظر
ريان من مَرَح الصُّبَا فكأنما
خمري ربيق لؤلؤى لواحظ
لله ليلتنا بكاظمية وقد
وقد أضجعنا والنجوم كأنها
والبدر سار في السماء كأنه
والشعريان كأنما أحداقها
وسهيل الوقاد يخفق دابياً
والليل يرفل في فضول غلائل
والريح ينثر عَرَفها بنسيمها
خير الأنام ومن يذل مهابة
صنو النبي وصهره ووزيره

من كل أبيض ذي قوامٍ ناضر
زويست معاطفه بغيث باكر
مسكى صدغ صارمى محاجر
سمحت به الأيام بعد مهاجر
في الأفق لؤلؤ ثغره في ناظري
من وجهه باد بنور باهر
أحداق عاذل حبه المتكاسر
خفقان أحشائي عليه وخاطري
رقت كشوقى أو كدمى القاطر
نشرى مديح أخى النبي الطاهر
من بأسه قلب الهزير الخادر
وظهيره في كل يوم تشاجر^(١)

كما كتب ابن أبي طي شعرا نظمه في شكل رسالة إلى الملك الظاهر، عاتبه فيها على تعيينه حارساً لأحد البساتين يدعى «مالكا» كان قد رفض دخوله إلى هذا البستان، قال ابن أبي طي عن سبب كتابته هذه الرسالة: «خرجت يوماً إلى بستان عمله الملك الظاهر صاحب حلب حسن عمارته، وغرس فيه أنواع الغراس، وكان اسم بوابه مالكا فأردت دخوله فمنعني فكتبت على بابه:

قل «الغيث الدين»^(٢) يا مالكا
صيرت فيها خازنا مالكا

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١.

(٢) كان الملك الظاهر يلقب بهذا اللقب. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦).

ثم مدح ابن أبي طي البستان فقال:
 إن كنت ترغيب في النعم
 فعليك بالقصر الغيائي
 قصر علا عن أن يحيط
 فإق الخورنق حسنه
 فكأنه في الروح في الميدان
 كسرى لدى الغلمان في
 يسم وفي معساقرة السرور
 الأغمر المستير
 بوصفه فكر الخبير
 وعلا على حسن السدير
 في الحسن البهير
 الأيوان في السطر الحرير^(١)

كما نظم ابن أبي طي أيضا شعرا في هجاء رجل يدعى «أبو جعفر» فقال:
 يا أبا جعفر تجاف قليلاً
 أنت في معشر كرام ولكن
 كم تسامى بمفخر منحوس
 أنت فيهم قوائم الطاووس^(٢)

ولم يكن ابن أبي طي أديبا شاعرا فقط، وإنما ظهر لنا من قائمة مؤلفاته - التي سنوردها في الصفحات القادمة - أنه كانت له دراية واسعة بعلوم اللغة، فألف في الأدب، والبلاغة، والنحو.

المؤرخ ابن أبي طي:

اهتم ابن أبي طي بالكتابة في شتى مجالات العلوم - فكما ذكرنا من قبل - كان على دراية واسعة بالعلوم الدينية من فقه وتفسير، كما كتب في عقائد الشيعة، وفي الأدب والبلاغة، واهتم ابن أبي طي بعلم التاريخ فألف فيه العديد من المؤلفات، وصارت بذلك الكتابة هي مورد دخله الأساسي^(٣).

(١) السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٢) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١.

(٣) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

مؤلفات ابن أبي طي:

ترك ابن أبي طي الحلبي حسب ما ظهر لنا من عناوين مؤلفاته مكتبة كبيرة، تضم العديد من المؤلفات في شتى مجالات العلوم الإنسانية، وقد قسمنا مؤلفاته إلى عدة أقسام حسب ما ظهر لنا من عناوينها، وقد حاولنا إظهار مؤلفاته بأسلوب يعكس ثقافته.

مؤلفات ابن أبي طي التاريخية:

تصدر كتابات ابن أبي طي التاريخية قائمة مؤلفاته، وقد غطى ابن أبي طي في كتاباته تاريخ العديد من البلاد الإسلامية، وأفرد لها كتبا مستقلة، فألف عن الشام بصفة عامة، وعن حلب بصفة خاصة، كما كتب عن مصر، والمغرب، والمشرق الإسلامي.

فكتب ابن أبي طي في تاريخ الشام كتابا سماه «سلك النظام في تاريخ الشام»^(١) ويقع في أربع مجلدات^(٢). وحظيت حلب مسقط رأس ابن أبي طي باهتمام بالغ بين مؤلفاته التاريخية، وقد انعكس هذه الاهتمام على حجم مؤلفاته عنها، فكتب عنها تاريخا «كثيرا»^(٣) وهو «معادن الذهب في تاريخ حلب»^(٤)، ثم قام بتكملة هذا

الكتاب، و«ذيله» بمجلد آخر^(٥).

(١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٢) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٣) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ ابن حجر: المصدر السابق، المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢٠؛ السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ أغابزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢٠؛ السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٥) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ أغابزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢٠. الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦؛

كما خص ابن أبي طي «الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين» (٥٨٢ - ٦١٣ هـ / ١١٨٦ - ١٢١٦ م)، بمؤلف تضمن سيرته في حكم حلب، وكان ابن أبي طي قد عاصر فترة حكمه لها، فكتب في سيرته كتابا بعنوان «عقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر»^(١) وقد اختلط الأمر على بعض المؤرخين بالنسبة لعنوان هذا الكتاب، وذكروا أنه كان في سيرة «الظاهر بيبرس»^(٢)، وهذا ليس صوابا لأن ابن أبي طي كان قد توفي في حدود عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ - ٣٢ م، أي قبل ظهور الظاهر بيبرس على خريطة تاريخ مصر والشام بنحو ثلاثين سنة. كما ألف أيضا كتابا آخر عن ملوك حلب، وسماه «سيرة ملوك حلب»^(٣).

واهتم أيضا ابن أبي طي بالكتابة عن مصر فألف عنها كتابا بعنوان: «تاريخ مصر»^(٤)، كما ألف عن تاريخ المغرب كتابا سماه: «مختار تاريخ المغرب»^(٥).

كذلك كتب ابن أبي طي عدة مؤلفات في السير الذاتية، فألف عن سيرة النبي عليه الصلاة والسلام كتابا بعنوان: «سيرة النبي وأصحابه»، وهو يقع في ثلاثة مجلدات^(٦)، كما ألف أيضا عن سيرة السلطان صلاح الدين^(٧) كتابا سماه: «كثر الموحدين في سيرة صلاح

-
- السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧. ٥٦. C. Cahen : La Syrie de nord , p . ٥٦ .
- (١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥. Cahen . op. cit , p . ٥٦ .
- (٢) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.
- (٣) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦. C. Cahen . . op. cit , p ٥٦ .
- (٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ أغابزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢٠؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ C. Cahen : op. cit , p . ٥٦ .
- (٥) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ C. Cahen : op. cit , p . ٥٦ .
- (٦) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١.
- (٧) مصطفي جواد: مقال في مجلة الكتاب، م ٦، ج ٨، ص ٤٧٧.

الدين»^(١)، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه عن كتابه عن سيرة الملك الظاهر بن صلاح الدين.

كما كتب ابن أبي طي كتاباً عامة في التاريخ، شملت تاريخ العديد من الخلفاء والملوك، فمنها كتاب «حوادث الزمان»، وهو مرتب على حروف المعجم^(٢) ويقع في خمس مجلدات^(٣)، «معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب»

^(٤)، وله أيضاً كتاب في التاريخ عرف «بتاريخ ابن أبي طي» وتاريخه مرتب على السنين^(٥).

وقد اعتمد على كتاب «تاريخ ابن أبي طي» بعض المؤرخين اللاحقين به، ومنهم «الصفدي» ت ٧٦٤ هـ / ٦٢ - ١٣٦٣ م، ونقل منه في كتابه «نكت الهميان» ترجمة «الأشرف بن الأعز»^(٦).

كما كان لابن أبي طي «مجموع» هكذا ذكره ابن العديم فقال: «قرأت بخط يحيى بن

(١) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥؛ نظير حسان سعداوي: المرجع السابق، ص ٣؛ فتحية النبراوي: العلاقات السياسية، ص ٩٩.

C. Cahen: op. cit, pp. ٥٥-٥٦.

(٢) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

C. Cahen: La Syrie de nord, p. ٥٦.

(٣) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٤) C. Cahen: La Syrie de nord, p. ٥٥, une chronique chiite au temps des croisades, (٤) p. ٢٦١.

الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٥) أغابزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١٩.

(٦) المرجع نفسه والصفحة.

ظافر النجار الحلبي في مجموع له^(١)، واعتمد ابن العديم عليه في ذكر إحدى التراجم^(٢).

وكما اهتم ابن أبي طي بالكتابة عن حلب اهتم أيضا بالكتابة في عقيدته الشيعية، فكتب عدة مؤلفات عن الشيعة، منها: «أسماء رواة الشيعة ومصنفها»^(٣)، و«أخبار شعراء الشيعة»^(٤)، وهو مرتب على الحروف الهجائية^(٥)، «المجالس الأربعين في مناقب الأئمة الطاهرين»^(٦)، و«مناقب الأئمة الاثني عشر»^(٧) و«كتاب في حكمى كلام الأئمة الاثني عشر»^(٨)، و«ذخر البشر في معرفة الأئمة الاثني عشر»^(٩)، و«فضائل الأئمة» ويقع في أربعة مجلدات^(١٠)، و«الحاوي في رجال الإمامية»^(١١)، وأيضا «تصويع اللطائم في شرح خطبة فاطمة الزهراء»^(١٢)

وله كتاب طبقات الإمامية، وقد اعتمد على كتابه من المؤرخين اللاحقين به ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م في كتابه الإصابة، وأخذ عنه ترجمته «يغوث الصحابي»، ونظرا لاعتماد ابن حجر على ابن أبي طي في ترجمة أحد الصحابة، فهذا يوضح أن ابن أبي طي خصص فصلا في هذا الكتاب لطبقة الصحابة^(١٣).

(١) بغية الطلب، ج ٩، ص ٤١٦٧.

(٢) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١؛ الباز العربي: المرجع السابق، ص ٢٣٦.
C. Cahen: La Syrie de nord, p. ٥٦.

(٣) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٤) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٥) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٦) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٧) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٨) المصدر نفسه و الصفحة.

(٩) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(١٠) المصدر نفسه و الصفحة.

(١١) الكتيبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠.

(١٢) محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧؛ أغابيزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص

كما اهتم ابن أبي طي بالعلماء، وأفرد لهم كتابا بعنوان: «تاريخ العلماء»، ويقع في مجلد واحد^(١).

وقام ابن أبي طي بتهديب كتاب «الاستيعاب في أسماء الصحابة» لابن عبد البر

(أبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ت ٤٦٣ هـ / ٧٠ - ١٠٧١ م)^(٢)، وسماه: «تهديب الاستيعاب لابن عبد البر»^(٣).

وأيضاً ألف ابن أبي طي «رسائل صنفها عن العرب في الجاهلية، وعن النبي صلى الله عليه وسلم»^(٤)، وكتب «تراجم الأدباء والشعراء»^(٥).

كما نظم ابن أبي طي «ديوان المدائح»^(٦)، ولعله كان في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت.

مؤلفات ابن أبي طي في علوم الدين:

اهتم ابن أبي طي بالكتابة في علوم الدين، فألف بعض الكتب في التفسير وفي القرآن الكريم، والفقه.

ألف ابن أبي طي عدة مؤلفات عن القرآن الكريم، فكتب في تفسيره؛ كتابا في «تفسير الفاتحة»، كما قام بتفسير القرآن الكريم في كتابين. الأول: سماه: «ملح البرهان في تفسير

(١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ مصطفى جواد: المقال السابق، م ٦، ج ٨، ص ٤٧٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٧.

(٣) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٤) الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٥) المرجع نفسه والصفحة

(٦) محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٥.

القرآن»، و الثاني: «قبسة العجلان في تفسير القرآن»، كما كتب أيضا كتابا في أسباب نزول القرآن وسماه: «البيان في أسباب نزول القرآن»، و كتابا آخر في: «غريب القرآن»^(١).

أما بالنسبة لمؤلفاته في الفقه، فقد كتب: «فقه أحكام النساء في الفقه» و «مجموع مسائل فقه و أصول»^(٢).

كما ألف أيضا كتابا عن شهر رمضان وهو: «نهج البيان في عمل شهر رمضان». وأيضاً «شرح كلام أم سلمة لعائشة رضی الله عنهما»^(٣).

أما بالنسبة لمؤلفاته في علوم اللغة العربية، فقد شملت كتاباته في البلاغة و الأدب و النحو و من ذلك:

«شرح نهج البلاغة»، و يقع في ست مجلدات^(٤)، «تحفة الطائفة الفقهائية في شرح كلماتهم اللغوية»، «الاقتصاد في الفرق بين الظاء و الضاد»^(٥)، «المنتخب في شرح لامية العرب»^(٦)، «المشكاة في عويص مسائل النحاة»، «مختصر في اللغة»، «شرح غريب ألفاظ المقامات»، «كتاب التصحيف و الأحاجي»^(٧).

ولابن أبي طي مؤلفات أخرى عامة:

وهي: «البستان في مجلس الغلمان»^(٨)، «خلاصة الخلاص في آداب الخواص»، و يقع في

(١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

(٢) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٣) المصدر نفسه و الصفحة.

(٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٥) الكتبي: المصدر السابق ج ٤، ص ٢٧٠.

(٦) الكتبي: المصدر السابق ج ٤، ص ٢٧٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٧) الكتبي: المصدر السابق ج ٤، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

عشر مجلدات^(١)، «شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل»، ويقع في مجلد واحد، «التنبيهات في تعبير المناجات»، «التنبيهات على صنع النبات»، «الكشف والتبيين في محاسن التضمين»، «العروس في أدب السائس والمسوس»، «مودعة السفية و موزعة النيه»، «التحقيق في أوصاف الرقيق» «نكت درة الغواص»^(٢)، «الآل و العذب الزلال و بيان المعالم»^(٣) «الروضات البهجات في محاسن القينات»^(٤)، «اللباب في أسماء الأحباب»، «نسيم الأرواح في ما جاء في التفاح»، «الإيجاز في الألغاز»، «الأضداد»، «النكت الشاردة و النادرة و القائدة»، «إفراد قراءة أبي عمرو ابن العلاء»، «افراد مسائل»، «الجمع بين زوائد الصحاح و زوائد المجل»، «ذخر البشر في معرفة القضاء و القدر»، «سر السرائر»، «أخلاق الصوفية»^(٥)، «اشتقاق أسماء البلدان»^(٦).

وفاة ابن أبي طي:

لاحظنا من خلال بحثنا في كثير من المصادر الإسلامية السنية تجاهل معظمها تسجيل تاريخ وفاة يحيى ابن أبي طي في حولياتهم، ولهذا أصبح تاريخ وفاته غير معروف بدقة، فذكر «ابن حجر العسقلاني» أن وفاته تأخرت لما بعد عام ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م^(٧)، ولم نجد تحديدا لتاريخ وفاته إلا من خلال كتابات المؤرخ «الكتبي»، الذي أوضح انه توفي في «حدود» عام ٦٣٠ هـ / ٣٢ - ١٢٣٣ م^(٨)، وهذا الرأي أخذت به كثير من المراجع

(١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٢) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٤) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٦) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٧١؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٨) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

الحديثة^(١)، وبعضها رجحت وفاته ما بين عامي ٦٢٥ هـ - ٦٣٠ هـ^(٢) وهناك رأى ثالث رجح أنه غير معروف تاريخ وفاته^(٣).

وفي رأينا أن وفاة ابن أبي طي تأخرت إلى ما بعد عام ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ - ١٢٥٣ م ودليلنا على ذلك هو ابن أبي طي نفسه، حيث كان قد أرخ وفاة أحد تراجمه في عام ٦٥٠ هـ، وهذا يعني أنه كان على قيد الحياة حتى ذلك الوقت.

وكان «ابن حجر العسقلاني» قد ذكر في ترجمة «ورام بن أبي فراس بن ورام أبو الحسين»: «كان في أول أمره من الأجناد، يلبس القباء والمنطقة ويتقلد بالسيف، ثم ترك ذلك وانقطع إلى العبادة. ذكره ابن أبي طي في الإمامية، ويبلغ في إطرائه، وذكر له كرامات. قال: مات سنة خمسين وستائة»^(٤).

منهج ابن أبي طي في الكتابة التاريخية

نهدف من هذه الدراسة التحليلية لكتابات ابن أبي طي إلقاء المزيد من الضوء حول منهجه في الكتابة التاريخية، لأنه يعد من أبرز أعلام المؤرخين الشيعة، وترك مكتبة هائلة تدل على ثقافته الواسعة في شتى مجالات العلوم.

وقد تمكنا من خلال جمع العديد من نصوص كتاباته أن نقف على الكثير من السمات

(١) الطباخ اخلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨؛ أغابزرك الطهراني: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١٩؛ مصطفى جواد: مقال في مجلة الكتاب، م ٦، ج ٨، ص ٤٧٧؛ السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥؛ فتحية النبراوي: المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٣) C. CAHEN: La Syrie De Nord, p. ٥٥.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، (الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند ١٣٢٩ - ١٣٣١ هـ / ١٩١١ - ١٩١٣ م) ص ٢١٨؛ (الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ م) ص ٢٨٩.

العامّة الموضحة لمنهجه في الكتابة، خاصة وان هذه النصوص اتسمت بالتنوع المكاني، فغطت الكثير من الأحداث من المشرق الإسلامي حتى المغرب الإسلامي، ومن بلاد الشام شمالاً إلى مصر واليمن جنوباً. كما اتسمت أيضاً كتاباته بالتنوع الموضوعي، فشملت في كثير من الأحيان تاريخ أكثر من دولة في المنطقة الواحدة.

وسوف نوضح ما توصلنا إليه من منهج ابن أبي طي من خلال دراسة:

- مصادر كتابات ابن أبي طي.
- ملامح أسلوب ابن أبي طي في جمع مادة كتاباته.
- النقد التاريخي عند ابن أبي طي

مصادر كتابات ابن أبي طي:

تمثل دراسة المصادر التي استقى منها ابن أبي طي مادة كتاباته أهمية كبيرة، وتفوق أهميتها دراسة مصادر غيره من المؤرخين، لأنها فضلاً عن أهميتها في كشف جانب مهم من منهجه التاريخي، فهي تفيدنا أيضاً في معرفة الكثير عن حياة ابن أبي طي - والتي لا نعرف عنها إلا القليل - فظهر من خلال علاقاته المتعددة في حلب - والتي كشفتها مصادره - ما يشير إلى مكانته بها، كما ساهمت أيضاً دراسة مصادر ابن أبي طي في معرفة جانب كبير عن علاقات والده الذي يعد من أهم مصادره.

علاقات ابن أبي طي:

ظهر من خلال كتابات ابن أبي طي انه كان يتمتع بمكانة كبيرة في حلب، ولهذا سنحت له فرصة لقاء السلطان الملك الناصر^(١)، الذي أخبره ببعض المعلومات المهمة عن

(١) ناقشنا هذا المصدر بمزيد من التفصيل في فصل العلاقة بين الدولة الأتابكية والأسرة الأيوبية .

نسب «نجم الدين أيوب»^(١)، كما تأكد لنا أيضا هذه المكانة من خلال إطلاعه على بعض الوثائق والخطوط المهمة التي انفرد بكتابتها^(٢).

وكان لابن أبي طي علاقات مع الموظفين الإداريين في حلب، وظهر ذلك من خلال تسجيله لأحد النصوص المهمة عن دخل حلب، ووفر له ذلك علاقته مع مستوفي حلب كريم الدولة بن شرارة النصراني^(٣).

هذا بالإضافة لعلاقاته مع الفقهاء في حلب، وكانوا مصدرا مهما له في ذكر بعض الأحداث والتراجم ومنهم: «الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي»^(٤)، ومن شيوخه من فقهاء الشيعة الإمامية: «خليل بن خمرتكين الحلبي»^(٥)، و«محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني»^(٦).

وكان لابن أبي طي أيضا صلة بالقضاة من خارج حلب، وذكر منهم «قاضي اليمن جمال الدين»^(٧)، ولا نعلم إن كان التقى به في حلب أم في خارجها. هذا بالنسبة لما ظهر لنا عن علاقات ابن أبي طي، أما بالنسبة لمصادره فقد لاحظنا أنه اعتمد في بناء مادة كتاباته على العديد من المصادر وهي:

- (١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٥.
- (٢) سنورد هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحة القادمة.
- (٣) ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ٣٥٧.
- (٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٧.
- (٥) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٣٧٧-٣٣٧٨.
- (٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ١٨٤؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٢٠؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٨-٣٠٩.
- (٧) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ١٦٧.

أولا - الآثار:

ويمثلها قيام ابن أبي طي بزيارة مشهد الدكة - وهو من المشاهد الشيعية المقدسة في حلب - وتسجيله الكتابة التي على باب هذا المشهد، ووصف شكل الباب ونوع الخط المكتوب عليه، فقال: «ولحقت «باب» هذا المشهد، وهو باب صغير من حجر أسود عليه قنطرة مكتوب عليها بخط أهل الكوفة كتابة عريضة: «عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء وجه الله - تعالى - وقرية إليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان»^(١).

كما أشار ابن أبي طي أيضا إلى بقاء «كنيسة الحدادين» التي حولها القاضي «ابن الخشاب» في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م إلى مسجد حتى قرب وفاته، فقال: «وأدركمه إ! اءخر زمانه»^(٢).

ثانيا - الوثائق والخطوط:

صرح ابن أبي طي باطلاعه على النسخة الأصلية لاثنتين من الوثائق المهمة، وحرص على إثبات النصوص الواردة فيها، ومن ذلك وصف الهدية التي أرسلها الملك الناصر صلاح الدين إلى نور الدين محمود مع «الموفق بن القيسراني» - رسول نور الدين محمود - في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م. فقال: «: ووقفت على برنامج شرحها بخط الموفق بن القيسراني وهي...»^(٣)، كما وقف أيضا ابن أبي طي على نسخة عقد الصلح بين صلاح الدين والملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود أمير حلب في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م، فقال: «فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة فرضي بذلك، وحلف على نسخة رأيتها

(١) ابن شداد: المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ١٥٠؛ ابن الشحنة: نزهة النواظر، ص ٧٦، الدر

المنتخب، ص ٨٦؛ الغزي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٠؛ الأسدي: أحياء حلب، ص ٣٥١.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٦٧.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٥٨.

وعليها خطه»^(١).

ثالثاً - المشافهة:

من أهم الروايات التي ميزت كتابات ابن أبي طي تلك التي أخذها عن طريق المشافهة والسماع، ومن أبرز رواة الذين لعبوا دوراً مهماً في إضافة المزيد من التفاصيل المهمة في كثير من كتاباته، ولهذا صار له شكل منفرد بين أقرانه من المؤرخين:

١ - والده أبو طي حميد النجار:

حيث كان بفضل مكانته الدينية الكبيرة في حلب قد صارت له علاقات واسعة مع كثير من الشخصيات المهمة المعاصرة له في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ولهذا اعتمد عليه ابن أبي طي في نصف الروايات التي ذكرها عن طريق المشافهة، وقد تعددت المصادر التي اعتمد عليها والد ابن أبي طي في رواياته فمنها:

أ - المشاهدة والمشاركة:

من أهم الروايات التي انفرد بها ابن أبي طي تلك التي كان والده شاهد عيان ومشاركاً لكثير من أحداثها، ومن ذلك:

شارك والده في هدم قلعة الشريف في حلب في عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م، وكان نجم الدين إيلغازي، ملك حلب في ذلك الوقت، قد قرر هدمها - حسب رواية ابن أبي طي - حتى لا يتخذها الإسماعيلية في حلب مركزاً لهم، وهذا مما دفع الشيعة الإمامية للمشاركة في هدمها، قال ابن أبي طي: «وحدثني أبي قال: أنا في جملة الذين هدموها»^(٢).

كما شاهد والد ابن أبي طي كنيسة الحدادين بحلب بعد أن حولت في عام ٥١٥ هـ /

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٣٩.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ورقة ٤٠.

١١٢١ م إلى مسجد، فقال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال: أذكر وقد أخذني والدي إلى هذه الكنيسة، وقد عمرت مسجدا، وفيها رجل من أهل حلب يقال له «يوسف المصري» وكان إماما في علم الدين وكان يقرئ القرآن فيها، فكنت أقرأ عليه فإذا فرغنا من القرآن ذرنا في جوانب الكنيسة، فنكشط الصور ونقلع من حيطانها أشياء من الرخام والفسيفساء»^(١).

وفي عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م تعرضت حلب لحصار شديد من قبل مملكة بيت المقدس الصليبية، وراسل أهلها أمير الموصل «أق سنقر البرسقي» يستغيثون به، فأمدهم قبل وصوله إليهم بمعونة غذائية وأمر أن تفرق بين الناس، وكان لوالد ابن أبي طي نصيبا منها ذكره ابن أبي طي وحدد مقدار ما ناله منها، كما عقد مقارنة مهمة بين وزن تلك المعونة في ذلك الوقت، وما تساويه بعد قرن من الزمان تقريبا في زمن ابن أبي طي، فقال: «حدثني أبي قال: «أصابني منها «ثاني» مكاكي بالظاهري، يكون تقديره بالكيل الظاهري الآن «مكوكين ونصف»»^(٢).

كما شاهد والد ابن أبي طي الأسرى الصليبيون الذين أسرهم الأمير «سوار» - نائب عماد الدين زنكي في حلب - بعد عودته من غارته على بلدتي «اللاذقية وجبلية» في رجب عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م، قال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال: «وصلت هذه الغنيمة إلى حلب في أواخر شعبان، وكنا على الأسوار..... فشاهدنا الغنيمة وقد سدت الفضا»»^(٣).

وكان والد ابن أبي طي شاهدا لبعض الظواهر الطبيعية التي وقعت في حلب، وكانت مصدرا مهما بعد ذلك لكتابات ابن أبي طي عنها، ومن ذلك تفاصيل الشتاء القارص الذي تعرضت له حلب في عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، وأمه والده بوصف لآثره على كافة جوانب الحياة في المجتمع الحلبي، قال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال:» كان بحلب في هذه

(١) المصدر نفسه، ورقة ٦٧.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٨٨.

(٣) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٧٨.

السنة أطار كثيرة وجود، حتى ارتفع «الجرن الأصفر» الذي قدام فوارة الجامع عن الأرض لشدة الجمود، ولقد «أخذنا» عصا أعمى كان في الجامع وأدخلناها تحته، فلم يردّها شيء.....»^(١).

كما أمده والده أيضا بوصف لأثار الزلزال الشديد الذي ضرب حلب في شوال عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م، وما نتج عنه من القتل فقال: «وحدثني أبي قال: ضجر الناس من كثرة الغسيل، والتكفين، والحفر، وكان قد.....»^(٢) وهذه عظيمة، يوما، والناس ينقلون موتاهم إليها، «فوقفت عليها مقدار ساعتين»، فكان عدد من ألقى فيها في تلك المدة التي عاينتها، مقدار مائة وستين إنسانا، وكان جماعة يحملون الموتى في الأكيسة ويلقونهم.....»^(٣).

كما شارك والد ابن أبي طي في كثير من الأحداث المهمة التي تتعلق بعلاقة الملك نور الدين محمود بن زنكي (٥٤١-٥٦٩ هـ / ١١٤٦-١١٧٤ م) مع الشيعة في حلب

وكان له داتها دورا بارزا باعتباره كان زعيم الشيعة الإمامية في حلب، ولهذا اعتمد ابن أبي طي على رواياته، وأمدنا من خلال ذلك بكثير من التفاصيل التي انفرد بها.

فكان والد ابن أبي طي قد سرى عليه قرارات نور الدين محمود في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م الخاصة بنفى كبار الشيعة في حلب، فقال ابن أبي طي: «فأمر بنفسيهم وهم:.....»^(٤) ووالدي أبو طي النجار»^(٤).

وفي عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م تعرض نور الدين محمود في حلب لمرض شديد كاد أن يودي بحياته، فأوصى بولاية العهد من بعده لأخيه الأصغر «نصرة الدين أمير أميران»،

(١) المصدر نفسه، م ٢، ج ٤، ورقة ٦١.

(٢) وردت هذه النقاط في نص ابن الفرات. (المصدر السابق، ج ٤، ق ١، ص ٩٥ (المطبوع)).

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ق ١، ص ٩٥.

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ورقة ٩٧.

فقام نصره الدين بحصار قلعة حلب، واستغل الشيعة في حلب بقيادة والد ابن أبي طي ذلك، وساندوا نصره الدين في الحصار حتى يسمح لهم في عهده بممارسة شعائرهم، وقد ظهر دور والد ابن أبي طي في تلك الأحداث، وأورد ابن الفرات تفاصيلها فقال: «وراسلوا الأمير نصره الدين أمير أميران..... وأحضره إلى حلب..... وأجمع إليه الحلبيون وحلفوا له، وولوا استيفا اليمين وتحليف من يحلف «أبا طي حميد بن ظافر بن علي الغساني الحلبي المعروف بالنجار» وألبس نصره الدين القبا، وامن الجماعة باتباع أمره، وكان رأس الشيعة بحلب،..... واحضر الأمير نصره الدين لأبي علي بن العجمي ليحلف، فامتنع، فضربه حميد النجار بقدمه كان معه، فلما كان يوم الجمعة منع الحلبيون خطيب أهل السنة من الخطابة، وأحضروا الشيخ الخطيب «أبا عبد الله أبي الفتح بن أبي أسامة».... وصلى على الإمام المنتظر، خلف «حميد النجار، رأس الشيعة»^(١).

وبعد وفاة نور الدين محمود سمح ولده «الملك الصالح إسماعيل» في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م للشيعة بممارسة شعائرهم الدينية، وشارك أيضا والد ابن أبي طي في تلك الأحداث، فقال ابن أبي طي: فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره بحدى على خير العمل، وصلى «أبي» في «الشرقية» مسبلا، وصلى وجوه الحلبيين خلفه»^(٢).

ب - المشافهة:

استمد والد ابن أبي طي كثيرا من رواياته عن طريق المشافهة، وأفصح في بعضها عن مصادره - ومن خلالها تتضح علاقاته الواسعة في معظم بلاد الشام - والبعض الآخر لم يذكر. وظهر من خلال بعض الأحداث التي ذكر فيها مصادره انه كان يتبع منهج أهل الحديث في الاسناد^(٣)، واستعمل الاسناد بطرق مختلفة عبرها عن طريقة وصول الخبر

(١) المصدر نفسه، م ٣، ج ٥، ورقة ١٠٩ - ١١٠.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦١٠.

(٣) د. محمود إسماعيل: سوسولوجيا الفكر الإسلامي، طور الإنهيار (٤)، الفكر التاريخي، ص ١٢٣ (تحت الطبع).

إليه، وهى كما يأتى^(١):

الإسناد الجمعى:

استعمله والد ابن أبى طى ليدلل على اتفاق الرواة على الخبر^(٢)، وحرص خلال عرضه أسياء رواته على أن يوضح صلتهم بمن يروى عنه الخبر، فعند روايته خبر ضيق نجم الدين أيوب وتشاؤمه من ولادة ابنه صلاح الدين فى نفس الليلة التى اضطرب فيها إلى مغادرة قلعة تكريت فى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ - ١١٣٨ م قال ابن أبى طى: «وحدثنى أبى رحمه الله قال: حدثنى «سعد الدولة أبو الميامن المؤي»، وكان أحد أصحاب نجم الدين أيوب قال: وحدثنى أيضا بهذه الحكاية مجد الدين بن داية الملك الصالح، قال: حدثنى حسام الدين سنقر غلام الأمير «نجم الدين أبى طالب، وكان سنقر هذا يخدم مع الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي»^(٣).

ومن ذلك ما أورده أيضا عن العلاقة بين الوزير الفاطمى شاور ونور الدين محمود فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م، قال ابن أبى طى: «وحدثنى أبى رحمه الله قال: حدثنى غير واحد»^(٤).

المسند الموصول:

اتبع والد ابن أبى طى فى بعض رواياته المسند الموصول^(٥)، فقال عند توضيحه موقف الملك الظاهر بن صلاح الدين بعد أن عزله والده من حلب فى عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، وأسندها إلى أخيه «الملك العادل»، قال ابن أبى طى: «حدثنى» أبى «عن» مجد الدين ابن

(١) صفاء حافظ عبد الفتاح: البلاذري ومنهجه، ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٧.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٨.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٢٨.

(٥) صفاء حافظ عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ١٠٦.

الخشاب «قال: حدثني الملك الظاهر»^(١).

المسند المقطوع:

استعمل والد ابن أبي طي المسند المقطوع^(٢)، وأورد أيضا درجة قرابته ممن يروى عنه الخبر، وذكر ذلك عند ذكره موقف صلاح الدين من نور الدين محمود بعد أن ساءت العلاقة بينهما، قال ابن أبي طي: «حدثني أبي عن «ابن قاضي الدهليز»: وكان من خواص الملك الناصر»^(٣).

الإسناد إلى مجاهيل:

واسند أيضا والد ابن أبي طي روايته إلى مجاهيل^(٤)، وحرص أيضا على ذكر صلتهم بمن يروى عنه الخبر، فعند تناوله موقف نور الدين محمود من تولى صلاح الدين الوزارة في مصر في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م، قال ابن أبي طي: «وحدثني أبي رحمه الله تعالى، قال: حدثني جماعة من أصحاب الملك العادل نور الدين محمود بن الملك المنصور عماد الدين زنكى صاحب الشام»^(٥)، ومن ذلك قوله عن أسباب انتقال الملك العادل من مصر إلى حلب في عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، قال ابن أبي طي: «وحدثني أبي، قال: حدثني جماعة قالوا»^(٦)، ومن ذلك أيضا ذكره إحدى الروى التى تنبئ بانتصار السلطان صلاح الدين في موقعة حطين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م، قال ابن أبي طي: «حدثني والدى حميد

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) صفاء حافظ عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٤١.

(٤) صفاء حافظ عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٥) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ١٦٧.

(٦) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٤٠؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٤، ق ١،

النجار عن أحد التجار»^(١).

الإسناد إلى مجاهيل معلوم بلادهم:

كما اسند والد ابن أبي طي رواياته إلى مجاهيل ولكن بلادهم معلومة^(٢)، فعند ذكره تفاصيل تدمير الحملة الصليبية الأولى مكتبة مدينة طرابلس في أحداث عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ - ١١١٠ م، قال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال: حدثني شيخ من أهل طرابلس»^(٣)، وأيضا عند تناوله أخبار الغزو البيزنطي لمدينة «نيقية» في عام

٥٣١ هـ / ١١٣٦ - ١١٣٧ م، قال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال: حدثني رجل من أهل نيقية وصل إلى حلب»^(٤).

وهناك أيضا بعض الروايات التي أخذها والد ابن أبي طي عن أبيه، وهي تتعلق بأحداث العقد الأول من القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، فأشار إلى ذلك ابن أبي طي عند وصول ابن تومرت إلى حلب في عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ - ١١١٠ م، فقال: «فقال: حدثني (أبي)^(٥) «ظافر» قال: أعرف وقد غلقت أبواب المدينة بحلب وأبواب الجامع»^(٦)، كما اعتمد والد ابن أبي طي على أبيه في وصف أحوال المجتمع الحلبي في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ - ١١١٦ م، وموقف الشيعة الإمامية في حلب من بناء أول خانقاه بها في

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ٢٧٧ (طبعة دار الكتب)، ج ٢، ص ٨٥ (طبعة دار الجليل).

(٢) صفاء حافظ عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٣) ابن القرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٣٨.

(٤) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٩٣.

(٥) الكلمة غير واضحة في مخطوط ابن القرات، ويبدو لنا أنه قال «أبي». (المصدر نفسه، م ١، ج ١، ورقة ٤٤).

(٦) المصدر نفسه والورقة.

ذلك العام، قال ابن أبي طي: «حدثني أبي بذلك عن أبيه بهذه الحكاية»^(١).

أما بالنسبة للأحداث التي لم يفصح فيها والد ابن أبي طي عن مصادره فهي أيضا كثيرة، وتعلق بعضها بتاريخ حلب، ومن ذلك ذكره تفاصيل بناء المدرسة الزجاجية في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م^(٢)، وظهور مشهد الإمام علي بن أبي طالب في عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م^(٣)، وتفاصيل قيام عماد الدين زنكي بعمارة ميدان قنسرين في عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ - ١١٣٧ م^(٤).

وتعلق البعض الآخر من الروايات التي أوردها والد ابن أبي طي، بذكر نسب نجم الدين أيوب^(٥)، وبتوضيح العلاقة بين نور الدين محمود وصلاح الدين^(٦)، وأخيرا بالترجمة لبعض فقهاء الشيعة الإمامية^(٧).

ومن أهم رواة ابن أبي طي أيضا:

٢ - شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار:

من الكتابات التي تميز بها ابن أبي طي كتاباته عن تاريخ الخلافة الفاطمية في مصر، في الفترة التي أرسل فيها الملك العادل نور الدين محمود (٥٤١ - ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤ م) سلطان الدولة الأتابكية في الشام، ثلاث حملات إلى مصر في أعوام ٥٥٥ هـ / ١١٦٤

(١) المصدر نفسه، ورقة ٩١.

(٢) المصدر نفسه، م ١، ج ٢، ورقة ٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ، ورقة ١١٣.

(٤) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٨٩.

(٥) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٢٥.

(٧) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٤٤؛ الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٨.

م، و ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م، و ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م، وأيضا أحداث الحملات الصليبية
الثلاث التى غزت مصر فى تلك الأعوام.

وكان ابن أبى طى قد تعرف على الأمير «شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة
محمد بن مختار»، وهو ابن أحد أهم الأمراء المصريين الذين قاموا بدور رئيسى فى تلك
الأحداث، ومن الراجح أنه التقى به فى حلب، حيث أشار «عز الدين بن شداد» إلى اشتراك
فخر الدين موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار فى أعمال العمارة فى حلب فى عهد الملك
الظاهر بن صلاح الدين^(١)، وقد صرح ابن أبى طى باعتماده عليه فى روايتين:

حدثه فى المرة الأولى عن الدور الذى قام به والده شمس الخلافة محمد بن مختار مع
«الكامل بن الوزير الفاطمى شاور» من أجل إقناعه بضرورة الاستعانة بقوات نور الدين
محمود بعد تدهور الأحوال فى مصر بسبب الحملة الصليبية الثالثة التى غزتها فى عام ٥٦٤ هـ
/ ١١٦٨ م، قال ابن أبى طى: «ولما اتصل بشاور ما جرى على أهل بلبس من القتل
والأسر.... طلب الإذن على العاضد؛ فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال: اعلم أن البلاد
قد ملكت علينا، ولم يبق إلا أن تكتب إلى نور الدين وتشرح له ما جرى وتطلب نصرته
ومعونته.... ثم قال ابن أبى طى: وحدثنى «شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد
بن مختار» قال: إنما كتب هذا الكتاب برأى أبى شمس

الخلافة، لأنه لما رجع من عند مرمى، لعنه الله، بعد أخذ بلبس اجتمع بالكامل بن شاور
وقال له:..... أن أباك قد وطن نفسه على المصابرة وآخر أمره يسلم البلاد إلى الفرنج ولا
يكاتب نور الدين، وهذا عين الفساد؛ فأصعد أنت إلى العاضد وألزمه أن يكتب إلى نور
الدين، فليس لهذا الأمر غيره. فقصدته الكامل وكتب الكتاب»^(٢).

وفى المرة الثانية أخبر الأمير شمس الخلافة موسى ابن أبى طى بعض المعلومات التى

(١) الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ٣٤٣.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣١-٤٣٢.

تشير إلى التدهور الذى صارت عليه المكتبة الفاطمية بعد سقوط الخلافة فى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وذلك أثناء حديثه عن شراء القاضى الفاضل بعض الكتب منها، فقال: «وحصل للقاضى الفاضل قدر منها كبير حيث شغف بحبها، وذلك أنه دخل إليها واعتبرها، فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه فى بركة كانت هناك، فلما فرغ الناس من شراء الكتب اشترى تلك الكتب التى ألقاها فى البركة على إنها مخرومات، ثم جمعها بعد ذلك، ومنها حصل ما حصل من الكتب، كذا أخبرنى..... الأمير شمس الخلافة موسى بن محمد»^(١).

وفى الحقيقة إن كان ابن أبى طى لم يصرح باعتماده على روايات الأمير «شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار» سوى فى هاتين الروايتين، إلا إننا نرجح أنه كان مصدرا مهما ورئيسا لابن أبى طى فى كتاباته الأخرى عن حملات نور الدين محمود والحملات الصليبية على مصر. التى أشرنا إليها من قبل. حيث انفرد ابن أبى طى طوال هذه الحملات، بتوضيح الدور البارز الذى قام به شمس الخلافة محمد بن مختار، وبصفة خاصة أثناء الحملة الصليبية الثالثة على مصر فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م، حيث لم نخل فقرة - تقريبا - دون ذكر لدور الأمير شمس الخلافة فيها، وذلك منذ وصول الحملة إلى مصر، وحتى مفاوضات الصلح.

٣- الشريف الإدريسي:

اهتم ابن أبى طى أيضا فى كتاباته عن الخلافة الفاطمية بسماع رواية أحد أهم الأشخاص الذين كانوا معاصرين لأحداث حملة نور الدين محمود الثانية على مصر فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م وهو الشريف الإدريسي، ومن الواضح أنه تحدث معه فى حلب أيضا لأن ابن أبى طى ذكر عنه أنه «نزىل حلب»^(٢)، وحدثه بأهم تفاصيل العلاقة بين أسد

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٦.

الدين شيركوه وولاية الأمور في الإسكندرية، وأوضح أن هذه العلاقة بدأت منذ وصول حملة أسد الدين شيركوه إلى الصعيد، ولعب الشريف الإدريسي دورا هاما في

السفارة بين ابن مصال وإلى الإسكندرية، وشيركوه في الصعيد، قال ابن أبي طي: «حدثني الشريف الإدريسي، نزيل حلب، قال: كنت بالإسكندرية يومئذ فكتب معي» ابن مصال «كتابا إلى أسد الدين وقال لي: قل له أنى أخبرك أن السلاح واصل. وكان أنفذ لأسد الدين خزانة من السلاح، قال: فسبقتها بيومين، وحضرت بين يدي أسد الدين وأعطيته الكتب وشافهته بمقالة ابن مصال في معنى السلاح والآلات، ثم وصلت الخزانة بعد يومين مع ابن أخت الأمير ابن عوف»^(١).

كما حدث الشريف الإدريسي ابن أبي طي بتفاصيل أخرى مهمة في آخر أحداث الحملة الصليبية في مصر، توضح العلاقة بين صلاح الدين والملك عمورى الأول، حيث كان صلاح الدين قد طلب من الملك عمورى أن يسمح له بنقل بعض الضعفاء والمرضى على مراكبهم، فوافق الملك، وكان «الشريف الإدريسي» من ضمن الذين سافروا في هذه المراكب، قال ابن أبي طي: «وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مراكب يحمل فيها الضعفاء من أصحابه فأنفذ له عدة مراكب. قال «الإدريسي»: كنت في جملة من خرج في المراكب، فلما وصلنا إلى ميناء عكا أخذنا واعتقلنا في معصرة القصب إلى أن وصل الملك مرمى فأطلقنا، فخرجنا إلى دمشق»^(٢).

وهناك أيضا عدد من رواة ابن أبي طي صرح باعتماده عليهم، ولكنه لم يرجع إليهم سوى في رواية واحدة، وظهر من خلال تلك الروايات تأثره أيضا مثل والده بمنهج أهل الحديث في الإسناد، واستعمله بصور مختلفة عبرها عن طريقة وصول الخبر إليه، ومن ذلك:

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٧-٤٢٨.

١ - المسند المقطوع:

وفيه حدد ابن أبي طي مصدرا واحدا تلقى عنه الخبر، وقد استخدمه في كثير من رواياته التي ذكرناها من قبل، والتي أخذها عن والده، وعن شمس الخلافة موسى، والشريف الإدريسي، ومن خلاله كشف عن جانب كبير من علاقاته - التي أشرنا إليها في بداية عرضنا لهذا الموضوع - كما استعمله أيضا عند ذكر نتائج بحثه عن نسب نجم الدين أيوب، فقال: «أن جميع آل أيوب لا يعرفون جدا فوق شاذي، وكذلك أخبرني السلطان الملك الناصر رحمه الله»^(١)، وأيضا في تحديد مكان مولد نجم الدين أيوب، فقال: «وكان مولد نجم الدين أيوب ببلد شبختان، كذا حكاه مؤيد الدين ابن منقذ»^(٢)،

وفي ذكره أسباب انتقال الملك العادل من مصر إلى أخيه السلطان صلاح الدين في الشام، فقال: «كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه في جميع أموره ويتيمن بمشورته، ولا يُعلم بأنه أشار على السلطان بأمر فخالقه. حدثني قاضي اليمن جمال الدين» قال: كان السلطان يجمع الأمراء للمشورة، فإن كان العادل حاضرا سمع من رأيه، وإن لم يكن حاضرا لم يقطع أمرا في المهمات حتى يكتبه بجلية الأحوال ثم يسمع رأيه فيها»^(٣).

كما استخدمه ابن أبي طي في عرض إحدى الروى التي كانت تبشر بانتصار السلطان صلاح الدين في موقعة حطين في عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م، ومن خلال ذلك اتضح أنه كان يستمد أخباره أيضا من النساء في حلب فقال: «وحدثني «ظثري»، من نساء الحلبيين، كانت تداخل أخت السلطان الملك الناصر، قالت: كانت والدة السلطان تخبر أنها أتيت في نومها وهي حامل بالسلطان، فقيل لها: إن في بطنك سيفا من سيوف الله تعالى»^(٤)، وأيضا في

(١) المصدر نفسه، ص ٥٣٤ - ٥٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٥.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ١٦٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

ذكره بيان بدخل حلب في عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ - ١٢١٣ م، فقال: «حدثني «كريم الدولة بن شرارة النصراني»، وكان مستوفى دار حلب يومئذ، أنه عمل ارتفاع حلب سنة تسع وستائة في الأيام الظاهرية، دون البلاد الخارجة عنها، والضياح، والأعمال...»^(١)، وأثناء ترجمته عن شيخه الأشرف ابن الأعز المعروف بتاج العلي^(٢).

٢ - الإسناد إلى مجاهيل ومن بينهم معلوم :

كان ابن أبي طي في بعض مصادره يذكر أكثر من واحد أبلغه بالخبر، ويشير إلى بعضهم بقوله حدثني جماعة ويكتفى بذكر أسم أو أكثر منهم^(٣)، ومن ذلك قوله: «حدثني جماعة عن شمس الدين علي بن الداية، أخى مجد الدين، وحدثني الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي»^(٤)، وأيضاً قوله: «وحدثني جماعة من الحلبيين منهم: «الركن بن جهيل العمل»^(٥)، وقوله: «كذا أخبرني جماعة من

المصريين منهم الأمير شمس الخلافة موسى ابن محمد»^(٦)، وأيضاً قوله: «حدثني رشيد الدين المازندراني، حدثني جماعة من ممن لقيت»^(٧).

٣ - الإسناد إلى مجاهيل:

أخفى ابن أبي طي في بعض رواياته مصادره، واكتفى بقول: «حدثني جماعة»^(٨)، أو

(١) ابن شداد: المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ٣٥٧.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ١٨، ص ٣٨٦؛ الصفدي: نكت الهميان، ص ١٠٠.

(٣) صفاء حافظ عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٧.

(٥) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ١٤٦؛ المقرئ: المقفى، ج ٦، ص ٣٤٣.

(٦) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٠٧.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٢٠؛ تاريخ الإسلام، ج ١١، ص ١٨٤.

(٨) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٥.

«حدثني بعض الأمراء»^(١)، «وحدثني من شاهد هذه الهدية»^(٢)، ومن ذلك أيضا قوله: «وحكي»^(٣)، أو: «وسمع»^(٤).

رابعا - المؤلفات السابقة:

ومن المصادر التي اعتمد عليها ابن أبي طي مؤلفات من سبقه من المؤرخين، وهي تأتي في المرتبة الرابعة بالنسبة لأهمية مصادره، لأنه لم يفصح عنها إلا قليلا، ومنها:

١ - مؤلفات العماد الكاتب الأصفهاني:

كان العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) معاصرا لتاريخ العديد الدول، ومنها: دولة السلاجقة، والخلافة الفاطمية في مصر في العقد الأخير من تاريخها، كما كان معاصرا للدولة الأتابكية في الشام في آخر عهد نور الدين محمود، وعاصر أيضا الدولة الأيوبية في مصر والشام في أهم سنوات نشأتها وازدهارها، ولهذا كانت مؤلفاته من المصادر المهمة التي أرخت لتاريخ تلك الدول، وقد كانت كتاباته من أهم المصادر التي صرح بها ابن أبي طي، وتعددت الطرق التي استخدمها في الإشارة إليه:

أ - الإشارة إلى اسمه واسم مؤلفه:

من ذلك قوله: «وقد ذكر العماد الكاتب في سيرة السلجوقية»^(٥)، ومن الجدير

بالذكر أن نشير هنا إلى أننا لاحظنا أن حذف المصدر الذي اعتمد عليه ابن أبي طي قد يكون في بعض الأحيان اختصار من المؤرخ الذي اقتبس نص ابن أبي طي، ففى الإشارة

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٩٩، ٥٠٧، ٦٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٥٣٦.

السابقة، حذف ابن الفرات عند ذكره نفس النص الذي أورده أبو شامة اسم مؤلف العماد الأصفهاني واكتفى بقوله: «حكى العماد الكاتب»^(١).

ب - الإشارة إلى اسمه دون الإشارة إلى اسم كتابه:

من ذلك قوله: «وحكى العماد الكاتب»^(٢)، وقد أتضح لنا من خلال مقارنة كتابات العماد عن الأحداث التي ذكرها عنه ابن أبي طي أنه أوردها في كتابه «البرق الشامي»، الذي اختصره بعد ذلك «البنداري»، وأسماه «سنا البرق الشامي»^(٣).

ج - ذكر أحداث شارك فيها العماد الأصفهاني دون الإشارة إلى اسم كتابه:

أورد ابن أبي طي في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م أحداث انتقال العماد الكاتب الأصفهاني إلى الموصل للعمل في خدمة واليها «سيف الدين غازي»، وكان العماد قد سجل في كتاباته تطورات الأمور في الموصل، وأصبحت كتاباته عن هذه الأحداث مصدرا هاما لمعاصرتها، ولأنه كان أيضا أحد شهود العيان بها، ولهذا اعتمد ابن أبي طي على كتاباته وأوردها على لسانه وينس أسلوبه، فقال عن وصول العماد إلى الموصل: «ومضى العماد الكاتب إلى الموصل». قال: «وعزمت على خدمة سيف الدين صاحبها...»^(٤)، وقد وردت هذه الأحداث أيضا في كتابه البرق الشامي^(٥).

د - ذكر أبيات من شعر العماد الأصفهاني دون الإشارة إلى اسم كتابه:

من ذلك قوله بعد سيطرة صلاح الدين على قلعة حمص في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م:

(١) المصدر السابق، ج ٣، ورقة ٣٠.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٦٢.

(٣) ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٦ - ٥٩٧.

(٥) سنا البرق، ص ٧٥ - ٧٦.

«وفي فتح قلعة حمص يقول العماد الكاتب من قصيدة»^(١)، وقوله أيضا بعد انتصار السلطان صلاح الدين في موقعة «تل السلطان» في عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م: «وهنا العماد السلطان، رحمه الله تعالى، بقصيدة منها»^(٢)، وقد أورد العماد

الأصفهاني معظم هذه القصيدة في كتابه «الخريدة»، ولكننا لاحظنا أن القصيدة التي أوردها ابن أبي طي اشتملت على بعض الأبيات التي لم ترد في الخريدة، وهذا يدل على أن ابن أبي طي اعتمد على مصدر آخر من مؤلفات العماد الأصفهاني وردت به أيضا هذه القصيدة^(٣).

وإن كان ابن أبي طي لم يصرح باعتماده على العماد الأصفهاني سوى في بعض الروايات إلا أننا من خلال مقارنة كتاباته بكتابات العماد تبين لنا أنه اعتمد عليه اعتمادا كبيرا في معظم تاريخ الدولة الأيوبية، إلا أنه في كثير من الأحيان كان يتصرف في نص العماد، بأسلوب يشير إلى اعتماده عليه من ناحية، ومن ناحية أخرى يظهر أن ابن أبي طي كان يهتم بإضفاء أسلوبه على كتاباته.

ومن أكثر الروايات التي لاحظنا اتفاق ابن أبي طي فيها مع كتابات العماد الأصفهاني اتفاقا كبيرا وصل إلى حد التطابق في المعنى وتسلسل الأفكار من ذلك:

ما أورده عن موقف السلطان صلاح الدين من الأمراء في دمشق بعد عقدهم هدنة مع الصليبيين بعد وفاة نور الدين محمود في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م^(٤)، ومن ذلك أيضا محاولتي اغتيال السلطان صلاح الدين أثناء حصاره الأول لحلب عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م، وحصاره لحصن «عزاز» في عام ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م، واللتان قامتا بهما قوات فرقة

(١) المصدر نفسه، ص ٦١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٥٢.

(٣) قسم شعراء مصر، ج ١، ص ١٧-٢٢.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٤.

الإسماعيلية^(١).

وقد أشارت أيضا بعض الدراسات الحديثة السابقة إلى اعتماد ابن أبي طي على مؤلفات العماد الأصفهاني، وفي مقدمتها كتابات المستشرق الفرنسي كلود كاهن^(٢).

وهناك أيضا بعض المصادر التي صرح ابن أبي طي باعتماده عليها، واتسمت جميعها بسمة واحدة، وهي انه كشف عنها مرة واحدة في خلال كتاباته التي وقفنا عليها ومن هذه المصادر:

٢ - ابن القلانسي:

كان ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) من أهم المؤرخين في القرن السادس

الهجري، الثاني عشر الميلادي، وعاصر الكثير من الأحداث المهمة خاصة في دمشق، ولهذا خصها بمؤلف تناول فيه تاريخها بالإضافة لتاريخ بلاد الشام ومصر والخلافة العباسية، ولهذا كان مصدرا مهما من المصادر التي اعتمد عليها ابن أبي طي، وقد صرح باعتماده عليه في رواية ذكرها في أحداث عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م، وناقش فيها عدة آراء قيلت حول ولاية الأمور في حلب وكان من ضمنهم ابن القلانسي^(٣).

وقد تبين لنا أيضا من خلال مقارنة كتابات ابن أبي طي مع ابن القلانسي أنه اعتمد عليه في كثير من الأحداث التي تتعلق بتاريخ دمشق بصفة خاصة والشام بصفة عامة، وتجلى ذلك بوضوح في كتابات ابن أبي طي عن تاريخ الدولة الأتابكية، ومن الأحداث التي تطابقت فيها كتابات ابن أبي طي مع ابن القلانسي:

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠-٦١١، ٦٦٠.

(٢) La Syrie De Nord , p . ٥٦ . وانظر أيضا : الجاز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ؛ شاکر

مصطفى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

أحداث المحاولة التي قام بها أمراء الموصل وأرمينية وماردين لاسترداد إمارة الرها الصليبية في عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م^(١)، ومنها أيضا معظم تفاصيل الغزو البيزنطي للشغور الشامية في عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ - ١١٣٧ م^(٢).

وقد أشار أيضا كلود كاهن إلى ابن القلانسي وأورده ضمن مصادر ابن أبي طي، كما أورد من مصادره اثنين من مؤرخي حلب وهما: «ابن أبي جرادة» و«حمدان بن عبد الرحيم»^(٣).

٣ - ابن أبي جرادة:

هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي جرادة (ت ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م)^(٤)، أشار ابن أبي طي إليه في نفس الرواية التي ذكر فيها رأى ابن القلانسي^(٥)، ولم نتمكن من مقارنة كتابته مع ابن أبي طي لأنه فقدت أيضا معظم كتاباته.

٤ - حمدان بن عبد الرحيم:

هو حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان بن علي بن خلف الأثاري الحلبي، ولد في عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ - ١٠٧١ م، وألف كتابا بعنوان «سيرة الفرنج الخارجين إلى بلاد الإسلام»، وفُقد أيضا هذا الكتاب^(٦)، وصرح ابن أبي طي باعتماده على كتاباته عند ذكره

(١) المصدر نفسه، م ١، ج ١، ورقة ٤١ - ٤٢.

(٢) المصدر نفسه، م ٢، ج ٣، ورقة ٩٣.

(٣) Op. cit, p. ٥٦. وانظر أيضا: الباز العريني: المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ شاکر مصطفى: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٧.

(٥) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٩.

(٦) ابن ميسر: المتقى من أخبار مصر، ج ٢، ص ١٠٥؛ الباز العريني: المرجع السابق، ص ١٩٣.

لأحداث مقتل الملك «آق سنقر البرسقي» في شهر ذى القعدة عام ٥٢٠ هـ / ١٠٢٦ م^(١).

٥ - ابن المارستاني:

أشار ابن أبي طي إليه عند ذكره إحدى الرؤى التي تبشر بسقوط الخلافة الفاطمية وعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية، فقال: «وحكى ابن المارستاني في سيرة ابن هبيرة الوزير...»^(٢).

٦ - ابن بابويه:

هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى القمي، من علماء الشيعة، ألف العديد من المؤلفات يقال بلغت ثلاثمائة كتاب^(٣)، وكانت كتاباته من المصادر التي اعتمد عليها ابن أبي طي في ذكر تراجمه عن الشيعة، وصرح باعتماده عليه عند ذكره ترجمة: «محمد بن علي بن الحسن بن علي بن محمود الحمصي الرازي الملقب بالشيخ السديد»، فقال: «وذكره «ابن بابويه» في «الذيل»، وأثنى عليه، وذكر أنه كان يتعاطى بيع الحمص المصلوق»^(٤).

٧ - السمعاني:

أشار إليه أيضا ابن أبي طي في إحدى تراجمه عن الشيعة، فقال في ترجمته عن: «أصبهدوست بن محمد بن شيرونه الديلمي أبو منصور الشاعر»: «وكان يتشيع و

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م، ١، ج، ٢، ورقة ١٠٧.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج، ١، ق، ٢، ص ٤٩٩-٥٠١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج، ١٢، ص ٣٨٧.

(٤) ابن حجر: المصدر السابق، ج، ٥، ص ٣١١، ٣١٥.

يبالغ فيه، وربما سلك طريقة «ابن الحجاج» في شعره، قاله «أبو سعد بن السمعاني»^(١)، وقال: مات سنة تسع وستين وأربعمائة^(٢).

٨ - الطوسي:

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، من كبار فقهاء الشيعة (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)، من مؤلفاته: «الفهرس»^(٣)، ذكره ابن أبي طي عند ترجمته: «لإسماعيل بن أبي زياد الشقري»^(٤).

وفضلا عن هذه المصادر فقد اعتمد ابن أبي طي على اثنين من المجاميع:

الأول: من تأليف «والده»، أما الثاني: فقد صنفه أحد قضاة حلب وهو «العدل ابن دحم الحلبي»، وقد أشار ابن أبي طي إليهما في رواية واحدة، وهي نفس الرواية التي ذكر فيها ابن القلانسي وابن أبي جرادة، حيث ناقش آراءهم جميعا حول ولاية الأمور في حلب في أحداث عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م^(٥).

خامسا - الرسائل:

وهي من المصادر المهمة التي دعم بها ابن أبي طي كتاباتها، وخاصة تلك التي تتعلق بتاريخ مصر وبلاد الشام من ناحية، وبتاريخ مصر من ناحية أخرى:

- (١) اشتهر بلقب السمعاني الإمام الحافظ الكبير أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر التميمي الخراساني المروزي المتوفي في عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م، كما اشتهر به أيضا ولده عبد الرحيم أبي سعد بن عبد الكريم، ولم يوضح في اقتباسه عن السمعاني علي من اعتمد منها. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ١٩٣، ١٩٨، ج ١٦، ص ١٢٥).
- (٢) ابن حجر: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧٩.
- (٣) الذهبي: المصدر السابق، ج ١٣، ص ٦٢٤ - ٦٢٥.
- (٤) ابن حجر: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٢٤.
- (٥) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٩.

١ - الرسائل المتبادلة بين مصر وبلاد الشام:

ويمثلها الرسائل المتبادلة بين الخلافة الفاطمية في مصر والدولة الأتابكية في بلاد الشام، وأيضاً الرسائل المتبادلة بين مصر وبلاد الشام في عهد الدولة الأيوبية، وقد

تعددت الأسباب التي أرسلت من أجلها، وكانت على النحو التالي:

أ - للإبلاغ عن أمر هام:

ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين الدولة الأتابكية وصلاح الدين أثناء ولايته الوزارة الفاطمية، لإبلاغه بأهمية الإسراع في اتخاذ الإجراءات الخاصة بقطع الخطبة الفاطمية من مصر، ومنها رسالة أرسلها إليه في عام عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م، قال ابن أبي طي في ذلك: «أرسل الخليفة المستنجد بالله من بغداد إلى نور الدين يعاتبه في تأخير إقامة الدعوة له بمصر. فأحضر الأمير نجم الدين أيوب وألزمه الخروج إلى ولده بمصر بذلك وحمله رسالة منها: وهذا أمر تجب المبادرة إليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة، والمنقبة النبيلة، قبل هجوم الموت، وحضور القوات، لاسمياً وإمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته، وهو عنده من أهم أمنيته»^(١).

ومن أهم هذه الرسائل أيضاً رسالة كتبها «القاضي الفاضل»، وأرسلها صلاح الدين من مصر إلى نور الدين محمود في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ليبلغه بتفاصيل التنظيم السري الذي تزعمه بعض الأمراء المصريين لإعادة الخلافة الفاطمية، وتضمن الكتاب الكثير من التفاصيل الهامة التي لم ترد في كتابات كثير من المؤرخين^(٢).

ب - للبخارة بفتح إحدى البلاد:

ومن ذلك الرسائل التي أرسلها السلطان صلاح الدين من بلاد الشام إلى مصر إلى

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٥٦٢ - ٥٦٦.

الفقيه «زين الدين ابن نجا الواعظ»، وإلى أخيه الملك العادل - نائبه فيها - ليشرهما بسيطرته على حمص في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م، وهما من إنشاء القاضي الفاضل^(١)

ج - للحاجة إلى النفقات:

حيث كانت توسعات السلطان صلاح الدين في بلاد الجزيرة في عام ٥٧٧ هـ قد استنفذت الكثير من الأموال، ولهذا راسل نوابه في دمشق و مصر لإرسال المال إليه، وقد أمدنا ابن أبي طي بأجزاء من نصوص رسائل صلاح الدين إلى ابن أخيه «عز الدين فرخشاه» في دمشق وإلى أخيه «الملك العادل» في مصر^(٢).

د - لبحث أمر هام:

ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين في مصر - عقب وفاة نور الدين محمود في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م - وأمراء نور الدين محمود في دمشق، لبحث أحوال الدولة الأتابكية في الشام^(٣).

٢ - الرسائل المتبادلة داخل مصر:

ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين الوزير الفاطمي شاور وأسد الدين شيركوه أثناء حملات نور الدين محمود على مصر.

ومنها رسالة أرسلها شاور إلى أسد الدين شيركوه أثناء حصاره له في بلبيس في عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م، قال ابن أبي طي: «و حكى أن شاورا أرسل إلى أسد الدين، وهو محصور بلبيس، يقول له: اعلم أنني أبقى عليك ولم أمكن الفرنج منك لأنهم كانوا قادرين

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ٩٦.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٧.

عليك ؛ وإنما فعلت ذلك لأمرين: أحدهما أنى ما اختار أن أكسر جاه المسلمين وأقوى الفرنج عليهم. والثانى أنى خفت أن الفرنج إذا فتحوا بليس طمعوا فيها، وقالوا هذه لنا لأننا فتحناها بسيفنا ؛ وما من يوم كان يمضى بمصر إلا وأنا أنفذ إلى كبار الفرنج الجملة من المال، وأسألمهم أن يكسروا همة الملك عن الزحف»^(١).

ومن ذلك أيضا أرسل أسد الدين شيركوه أثناء حملة نور الدين محمود الثانية فى مصر فى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م إلى شاور خطابا عرض عليه فيه التحالف معا ضد الصليبيين، وهذا الخطاب يعد من الوثائق المهمة التى انفرد بذكرها ابن أبى طى فقال: «فأنفذ أسد الدين إلى شاور يقول له: أنا أحلف لك بالله الذى لا الله إلا هو، ويكل يمين يثق بها المسلم من أخيه، أنتى لا أقيم ببلاد مصر ولا أعاود إليها أبدا، ولا أمكن أحدا من التعرض إليها، ومن عارضك فيها كنت معك إلبا عليه، وما أوئل منك إلا نصر الإسلام فقط، وهو أن العدو قد حصل بهذه البلاد، والنجدة عنه بعيدة، وخلاصه عسير، وأريد منك أن نجمع أنا وأنت عليه، ونتهز فيه الفرصة التى أمكنت والغنيمة التى كتبت، فنستأصل شأفته ونخمد نائثرته وما أظن أنه يعود يتفق للإسلام مثل هذه الغنيمة أبدا»^(٢).

سادسا - دواوين الشعر:

كان ابن أبى طى - كما أوضحنا من قبل - مهتما باللغة والأدب، ووصف لذلك بالأديب، وهذا يفسر اهتمامه بتدعيم كتاباته كثيرا بأبيات من الشعر، فأورد العديد من القصائد لكثير من الشعراء، وقد احتل الشعراء الحلبيين مكانا مهما بين شعرائه، ومن أهمهم الشاعر «ابن سعدان الحلبي»^(٣)، «وسعيد الحلبي»^(٤)، «أبو الفضل حميد الحلبي»^(٥).

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٣ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٥ .

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٥٤، ج ٢، ق ١، ص ٨١ .

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٢٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٤٢ .

كما أورد ابن أبي طي بعض قصائد «العماد الأصفهاني»^(١).

وقد دعم ابن أبي طي كتاباته كثيرا بأبيات الشعر، واختلفت المناسبات التي ذكره فيها، وهي على النحو التالي:

١ - الشعر السياسي:

أورد ابن أبي طي في بعض الأحيان عدة أبيات من الشعر التي تحمل طابعا سياسيا، ومن ذلك:

ذكره وصية الوزير الفاطمي الملك طلائع بن رزيق إلى ابنه الملك العادل بشأن وإلى قوص شاور السعدي:

فإذا تبَدَّ شمل عقْدكما لا تأمنا من شاور السعدي^(٢)

كما أورد أيضا قصيدة كتبها الشاعر «سعدان الحلبي» لحث السلطان صلاح الدين على ولاية سيف الإسلام طغتكين اليمني بعد وفاة شمس الدولة تورانشاه في عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م^(٣)، وذكر أيضا عدة أبيات لشعراء من حلب لحث صلاح الدين على المسير إليها بعد وفاة الملك الصالح إسماعيل^(٤).

٢ - للتبشير بحدث هام:

ومن ذلك البيت الذي أوردته للقاضي محيي الدين بن زكي الدين، وفيه بشر السلطان بفتح القدس، فقال:

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ٦٥٢ - ٦٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ٨١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٤٢.

و فتحكم حلبا بالسيف في صفر . مبشر بفتوح القدس في رجب^(١)

٣ - للتهنئة بالمولود:

ومن ذلك القصيدة التي أوردها للشاعر الحكيم عبد المنعم، والتي كتبها لتهنئة السلطان صلاح الدين بولادة ولده الملك الأفضل نور الدين علي^(٢).

٤ - في مدح الخلع العباسية:

ومن ذلك القصيدة التي ذكرها للشاعر ابن سعدان الحلبي والتي مدح فيها الخلع العباسية التي وصلت للسلطان صلاح الدين في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م^(٣).

٥ - للتهنئة بفتح أحد البلاد:

من ذلك الأبيات التي أوردها لأكثر من شاعر حلبي بعد سيطرته صلاح الدين على حلب^(٤).

ملاحح أسلوب ابن أبي طي في جمع المادة العلمية لكتاباته:

١ - الاهتمام بتفاصيل الحدث:

اتسم أسلوب ابن أبي طي في جمع مادة كتاباته بسمة عامة، وهي البحث عن كل تفاصيل الحدث الذي يكتب عنه، من خلال مصادره المتنوعة والتي سوف نوضحها في الصفحات القادمة، وأضفى بذلك على كتاباته طابع الشمول، وصارت معظم كتاباته

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ق ١، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٤٦٦-٤٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ق ٢، ص ٦٣٩-٦٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٤٥-١٤٦.

أمثلة تؤكد هذا النهج العام في أسلوبه.

فعند تناوله أحداث التنظيم السرى الذى كان يهدف إلى إعادة الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، لم يكتف ابن أبى طى بعرض تفاصيل الموضوع من خلال الأحداث المعروفة لدى كثير من المؤرخين، فاهتم يبحث أسباب هذا التنظيم، وانفرد بها، وأرجعها إلى أسباب اقتصادية وسياسية، كما اهتم أيضا بشخصية الرجل الذى أبلغ صلاح الدين بأمره، وانفرد أيضا بذكر اسمه، كما أضاف أسماء بعض المشتركين في هذا التنظيم، وبعد أن أورد معظم أحداث هذا التنظيم دعم كتاباته عن هذا الموضوع بوثيقة هامة أضافت المزيد من التفاصيل حوله، كما أوضحت الوثيقة تفاصيل فتنة أخرى قامت في الإسكندرية في نفس الوقت، ولم تكن كل هذه التفاصيل معلومة لدى كثير من المؤرخين^(١).

٢- الاهتمام بجذور الأحداث:

كما اهتم أيضا عند جمعه مادة كتاباته بالأحداث التى تمهد للحدث الذى يكتب عنه، وانفرد في معظم الأحيان بهذا التمهيد الذى يزيد من فهم تطور الأحداث، فعند عرضه للفتنة التى قام بها «كنز الدولة» في أسوان في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ - ١١٧٥ م، انفرد بذكر تفاصيل فتنة أخرى وقعت قبله في قوص قادها «عباس بن شاذي»^(٢).

٣- العناية بالأشخاص:

وحرص ابن أبى طى أيضا عند جمعه مادة كتاباته البحث عن تطور أحوال أحد المشتركين في الحدث بعد انتهائه، خاصة إذا كان لهذا الشخص دور رئيس في سير هذا الحدث، فكان عند ذكره أسباب فشل وزارة الوزير الفاطمى الملك العادل رزيك (٥٥٦ -

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٦٦-٥٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠١-٦٠٢.

٥٥٨ هـ / ١١٦١ - ١١٦٣ م) قد ذكر أن ابن عمه «عز الدين حسام» كان له دور كبير

في هذا الأمر، ثم أمدنا بتطور أحواله بعد خروجه من مصر إلى الشام، فأوضح علاقته بالصليبيين وبالأمر «تقى الدين» في حماه^(١).

ومن ذلك أيضا اهتمامه بتبع أحوال أسرى مدينة بلبيس الذين تم أسرهم في الحملة للصليبية على مصر في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م، وانفرد بهذا فقال: «وبقى أهل بلبيس الذين أسروا أكثر من أربعين سنة في أسر الفرنج، وهلك أكثرهم في أيديهم، وأفلت منهم اليسير. لأن الملك الناصر رحمه الله لما ملك ديار مصر وقف مُغلاً بلبيس على كثرتة على فكاك الأسرى منهم؛ وسامح أهل بلبيس بخراجهم إلى آخر أيامه»^(٢).

٤ - الاهتمام بالجانب الصليبي:

اهتم كذلك ابن أبي طي في الأحداث التي شارك فيها الصليبيين بجمع معلومات هامة عن الجانب الصليبي وانفرد أيضا بذكر معظمها، من ذلك تفاصيل الاتفاق المادي بين الوزير الفاطمي شاور والملك عموري الأول في مقابل إرساله حملة صليبية إلى مصر في عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م فقال: «وضمن له في كل مرحلة يرحلها إلى ديار مصر ألف دينار وقرر شيئا «لقضيم» دوابهم، وشيئا «لاستباريته»، فخرج مري من «عسقلان» في جموعه إلى «فاقوس» في سبع وعشرين مرحلة، وقبض عنها سبعة وعشرين ألف دينار». كذلك أورد استعدادات مملكة بيت المقدس قبل إرسال حملتها الثالثة على مصر في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م فقال: «فجمع إليه ملوك الفرنج وكبراء الداوية والإستبارية، وتشاوروا، فجرت بينهم في ذلك خطوب؛ ثم أجابوه إلى الخروج معه إلى الديار المصرية، فأحضر وزيره وأمر بإقطاع بلاد مصر «لخياثة»، وفرق قراها على أجناده. وكان، لعنه الله، لما دخل ديار مصر قد

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣١.

أقام من أصحابه من كتب له أسماء قرى مصر جميعها، وتعرف له خبر «ارتفاعها»^(١).

٥ - الاهتمام بالجغرافيا:

كما حرص ابن أبي طي في كتاباته على توضيح المواضع الجغرافية لسير الأحداث وأغلبها انفراد بذكرها. فعند ذكره دخول عماد الدين زنكي حلب عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م اهتم بتحديد تفاصيل الأماكن التي نزل عندها، فذكر انه نزل على «باب العراق»^(٢)، كذلك عند وصول حملة أسد الدين شيركوه الأولى إلى مصر في عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م قال: «نزلوا على تل في «الحوف» قريب من بليس يعرف «بتل بسطة»^(٣).

واهتم أيضا بتحديد الموقع الجغرافي للمواضع التي يذكرها، وفي بعض الأحيان كان يحدد الموقع بدقة مثل قوله عن موقع «صدر»: «وهي على يومين من القاهرة»^(٤)، وأحيانا أخرى يحدده تحديدا عاما، مثل قوله عن موقع «إطفيح»: «وهي في الجنوب من مصر»^(٥).

٦ - الاهتمام بالنواحي الاجتماعية:

واهتم أيضا ابن أبي طي في كتاباته بتوضيح النواحي الاجتماعية في حياة الملوك فذكر تفاصيل زواج عماد الدين زنكي في حلب من ابنة ملك حلب السابق «فخر الملوك رضوان بن تنش» (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) في عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ثم عرض بعد ذلك لطلاقه منها بعد مدة قصيرة، وأرجع ذلك لأسباب سياسية تتعلق بالثار من قتله أبيه كما اهتم بذكر أدق التفاصيل التي توضح الحالة النفسية التي صار عليها زنكي بعد رؤيته

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢١، ٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٣، ورقة ٢.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤١٩.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

دم والده فقال: «وشرب في ذلك اليوم في المنطرة التي تنظر إلى حلب»^(١).

واهتم أيضا ابن أبي طي بتوضيح انعكاس الاضطرابات السياسية على الحالة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، فعند ذكره الاضطرابات التي أحدثها الأمير «ديس ابن صدقة» في بغداد في عام ٥١٣ هـ قال: «واعتمد بحريق «الأنبار»، ونخریب الضياع حتى أجملا أكثر أهلها عنها، وتفرقوا في البلاد، وغلا السعر ببغداد حتى بيع الخبز ثلاثة أرطال بقرطاب وكانت الأمطار قليلة والجذب شامل»^(٢).

ومن ذلك أيضا ما ذكره عن الآثار التي ترتبت على حريق الفسطاط في عام ٥٦٤ هـ ١١٦٨ م. قال ابن أبي طي: «وأمر شاوري بإحراق مصر وأنذر أهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجّوا في بلاد مصر، وبلغ أجرة الجمل إلى القاهرة ثلاثين دينارا، وترك الناس أكثر أموالهم فنهبت»^(٣).

٧- الاهتمام بالكوارث والظواهر الطبيعية:

ومن ذلك اهتمامه بوصف الحالة الجوية فقال على سبيل المثال: «كانت هذه السنة (٥٧٠ هـ) شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الأمطار هائجة الأهوية»^(٤).

٨- العناية بالجوانب العلمية والثقافية:

كما كان ابن أبي طي يهتم بذكر المكتبات، وانفرد بذكر أعداد الكتب في كثير من المكتبات منها مكتبة مدينة «أمد»^(٥)، و«المكتبة الفاطمية»^(٦)، وقد أخذت كتاباته التي ذكرها

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٤.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٢، أحداث ٥١٣.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٢.

(٤) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ق ١، ص ١٢٥-١٢٦.

(٦) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٤٠٩.

عن أعداد نسخ تاريخ الطبرى فى المكتبة الفاطمية شهرة كبيرة، وأشادت المراجع الأجنبية بأهمية روايته^(١).

ومن أهم المكتبات التى انفرد ابن أبى طى بذكر تفاصيل ما كانت تحتويه من الكتب «مكتبة مدينة طرابلس» التى دمرتها الحملة الصليبية الأولى عند دخولها إلى طرابلس فى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ - ١١١٠ م، ونظرا لأهمية روايته فسوف نذكر تفاصيلها هنا.

قال ابن أبى طى عن أهمية مكتبة طرابلس: «كان فى طرابلس «دار العلم»، ولم يكن فى جميع البلاد مثلها كثرة وحسنا وجودة. وقال حدثنى أبى قال: حدثنى شيخ من أهل طرابلس قال: كنت مع «فخر الملك بن عمار» صاحب طرابلس وهو فى «شيزر»، وقد وصله أخذ طرابلس، فأغى عليه، وأفاق، ودموعه تستبقه، وقال: والله ما أسفى على شىء كأسفى على دار العلم، فإن فيها ثلاثة آلاف ألف كتاب كلها فى علم الدين والقرآن والحديث والأدب. وقال: أن فيها خمسون ألف مصحفا، وأن فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عز وجل»^(٢).

ثم قال عن التنظيم الدقيق للمكتبة: «قال أبى: وكانت هذه دار العلم من عجائب الدنيا، وكان بنو عمار قد عنوا بها العناية العظيمة. كان فيها مائة وثمانون ناسخا ينسخ «بالجزاية» و«الجامكية»، منهم ثلاثون نفسا لا يفارقونها ليلا ولا نهارا، وكان لهم فى جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المتخبة، وكانت طرابلس فى أيام بنى عمار قد صارت جميعها دار علم، وقصدها الفضلاء من سائر الأقطار، ونفقت على بنى عمار سائر العلوم، وقصدهم الناس بها لاسيما علم الإمامية، فإنهم أحبوه وأحبوا أهلهم»^(٣).

(١) F. Rosenthal : A History Of Muslim Historiography ; p . ٥٠ ; The History Of Al-Tabari; p . ١٤١ .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٣٨ - ٣٩ ؛ C . CAHEN: Orient Et Occident .
Au Temps Des Croisades , pp . ٢٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٣٩ .

ثم قال عن الغزو الصليبي للمكتبة: «ولما دخل الفرنج إلى طرابلس وافتحوها أحرقوا دار العلم. وكان السبب في إحراقهم لها أن بعض القسوس، لعنهم الله تعالى، لما رأى تلك الكتب هالته. واتفق أنه وقع في خزانة المصاحف الكرام، فمد يده إلى مجلد فإذا هو مصحف ثم إلى آخر فرآه كذلك، ثم إلى آخر فوجده مصفحا حتى اعتبر عشرين مجلدا. فقال: كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين، فلذلك أحرقوها، وتخطف الفرنج، لعن الله من مضى منهم وخذل من بقى منهم، أميًّا من الكتب، وهى التى خرجت إلى بلاد المسلمين»^(١).

ويرجع اهتمام ابن أبي طي أيضا بذكر تفاصيل هذه المكتبة من ناحية، والوقوف على أكثر تفاصيلها من ناحية أخرى، إلى أن صاحب هذه المكتبة كان من الشيعة الإمامية، وترجم له ابن أبي طي في كتاباته وهو: «الحسين بن بشر بن علي بن بشر الطرابلسي المعروف بالقاضي»^(٢).

النقد التاريخي لكتابات ابن أبي طي:

يعد هذا الموضوع من أهم الموضوعات التى تتعلق بمنهج ابن أبي طي فى الكتابة التاريخية، لأننا لن ندرس هنا فقط النقد التاريخي لديه كغيره من المؤرخين عند دراسة منهاجهم فى الكتابة، ولما كان ابن أبي طي شيعيا لهذا صار مجال بحث النقد التاريخي لديه أكثر اتساعا لمعرفة مدى موضوعيته تجاه المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى التى تناولتها كتاباته، هذا بالإضافة لدراسة النقد التاريخي لديه بصفة عامة ومناقشة وتحليل النقد الذى وجه إليه من بعض المؤرخين السُّنة القدامى، وما أخذ الدراسة على كتاباته.

(١) المصدر نفسه والورقة .

(٢) ابن حجر: لسان الميزان، ج ٢، ٣١٦.

موقف ابن أبي طي من المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى:

من أهم الموضوعات التي تتبادر لذهن القارئ للنقد التاريخي لكتابات ابن أبي طي، هو معرفة مدى موضوعيته تجاه المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى، ولهذا بدأنا به دراسة النقد التاريخي لديه.

يعتق ابن أبي طي - كما أوضحنا من قبل - مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وقد تناولت كتاباته الكثير من الأحداث التي يظهر من خلالها موقفه تجاه الشيعة الإسماعيلية وتجاه المذهب السني:

أولاً - كتابات ابن أبي طي عن الشيعة الإسماعيلية:

كشفت ابن أبي طي في بعض كتاباته العلاقة بين «الشيعة الإمامية والشيعة الإسماعيلية»^(١)، من خلال بعض الأحداث التي أوردها عن تاريخ حلب، وهذا الكشف أتاح لنا فهم كتاباته عن تاريخ الخلافة الفاطمية في مصر.

١ - موقف ابن أبي طي من الشيعة الإسماعيلية في حلب:

أظهرت بعض كتابات ابن أبي طي عن الإسماعيلية في حلب مدى كراهية الشيعة الإمامية لهم، وقبل البدء في عرض الأحداث الدالة على ذلك، نوضح أولاً نبذة عن انتشار المذهب الإسماعيلي في حلب.

(١) تنقسم فرق الشيعة إلى خمس فرق: «الكيسانية»، و«الزيدية»، و«الإمامية»، و«الغلاة»، و«الإسماعيلية»، وقد اختلفت الإسماعيلية عن الإمامية الأثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، بينما ساق الأثنى عشرية الإمامة في ولد موسي الكاظم بن جعفر الصادق. (البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٦٤؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٧، ١٦٩، ١٩١)

كان الملك «فخر الملوك رضوان بن تتش بن ملكشاه» (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) أول من شجع الإسماعيلية على الاستقرار في حلب، واستعان بهم في أموره^(١)، ولم تكن أعدادهم حتى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ - ١١١٦ م تمثل أهمية كبيرة، حيث كان ابن أبي طي قد ذكر في ذلك العام التقسيم المذهبي في حلب، فقال: «أن أهل حلب كان أكثرهم إمامية، وما فيهم إسماعيلية ومصريين»^(٢).

ثم بدأت أعدادهم تزداد عاما بعد آخر حتى أصبحوا بحاجة إلى مقر خاص لهم في حلب، وهنا كشف ابن أبي طي عن طبيعة علاقة الإمامية والإسماعيلية من خلال نص مهم عرض فيه موقف ثلاثة من رؤساء حلب، وهم: نجم الدين إيلغازي بن أرتق (٥١٢ - ٥١٦ هـ / ١١١٨ - ١١٢٣ م)، وأتابك عماد الدين زنكي (٥٢٢ - ٥٤١ هـ / ١١٢٨ - ١١٤٦ م)، ونور الدين محمود بن زنكي (٥٤١ - ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ - ١١٧٤ م)، من طلب الإسماعيلية بتخصيص هذا المقر، وفيه أكد رفضهم طلب الإسماعيلية.

وقد بدأ الإسماعيلية في طلب هذا المقر في عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م، وحدد زعيمهم «أبي محمد» للملك نجم الدين إيلغازي «قلعة الشريف» لتكون مقرا لهم، فرفض طلبهم وأسرع بهدم السور الذي يفصلها عن مدينة حلب، وقد ظهرت كراهية الإمامية للإسماعيلية من خلال اشتراكهم في هدم هذا السور، وفي مقدمتهم القاضي «ابن الخشاب»، كما شارك في هدمها والد ابن أبي طي.

قال ابن أبي طي: وحدثني أبي.. قال: لما أنفذ «أبو محمد» إلى «يلغازي» يطلب قلعة الشريف شاع هذا الخبر في حلب، فاجتمع جماعة الحلبيين وقالوا: أن حصلت هذه القلعة في أيدي الإسماعيلية ملكوا حلب، والصواب أن نجتمع ونخرب السور الذي بينها وبين حلب، ونسد الخندق ونجعلها من جملة البلد، فجمعهم ابن الخشاب وخربها، ولهذا السبب

(١) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣٠٢؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦٧.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٩١.

قتلته الإسماعيلية... قال: وحدثني أبي قال أنا في جملة الذين هدموها»^(١).

ثم أبان ابن أبي طي في ختام هذه الموضوع عن رأيه تجاه الإسماعيلية وظهرت كراهيته الشديدة لهم بقوله: «ما وفق الله تعالى الأمير يلغازي، والأمير عماد اللين

زنكى أتاك وولده الملك العادل نور الدين محمود من الصواب..... هذه الطائفة الملحدة، الخبيثة، لكانوا قد استولوا على هذه البلاد وسرت دعوتهم الخبيثة في الوهاد.... ولكن الله تعالى حافظ هذا الدين من زيغ المعاندين وفساد الملحدين»^(٢).

وهذه العبارات المباشرة الموضحة لرأى ابن أبي طي تجاه المذهب الإسماعيلي في حلب، كان لها أثرا كبيرا في تفهمنا لطبيعة كتاباته بعد ذلك عن الخلافة الفاطمية في مصر، والتي كانت أيضا تعتق المذهب الإسماعيلي.

٢ - موقف ابن أبي طي من الخلافة الفاطمية في مصر:

القارئ لكتابات ابن أبي طي عن تاريخ الخلافة الفاطمية في العقد الأخير من تاريخها (٥٥٦-٥٦٧ هـ / ١١٦١-١١٧١ م) يضعه في مكانة كبيرة بين أهم مؤرخي الخلافة الفاطمية، لما انفرد به من كتابات مهمة لم تتوافر لغيره من المؤرخين، وأبرز من خلالها تطور أحوال الوزارة الفاطمية في تلك الفترة، بأسلوب يجعلنا في حيرة في أمره تجاه حقيقة موقفه من الدولة الفاطمية، فإذا نظرنا إلى كتاباته دون معرفة أنه كان يعتنق المذهب الشيعي نظنه سني المذهب، وقد ظهر ذلك بصورة واضحة في كتاباته عن سقوط الخلافة الفاطمية وعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية.

وقد لاحظنا ذلك من خلال اهتمامه بذكر بعض التفاصيل التي كان من الممكن أن يتجنبها حتى لا نستشعر سعادته من سقوط أكبر دولة قامت على أساس المذهب الشيعي

(١) المصدر نفسه، م، ١، ج، ٢، ورقة ٣٩-٤٠.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م، ١، ج، ٢، ورقة ٤٠.

الإسماعيلي، ومن الأمثلة التي ذلك:

أ- اهتمامه وانفراده بكتابة المراسلات بين الخلافة العباسية ونور الدين محمود من ناحية ونور الدين محمود وصلاح الدين في مصر من ناحية أخرى، والمتعلقة بموضوع قطع الخطبة الفاطمية من مصر.

فقال ابن أبي طي في عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م: «أرسل الخليفة «المستنجد بالله» من بغداد إلى «نور الدين» يعاتبه في تأخير إقامة الدعوة له بمصر. فأحضر الأمير «نجم الدين أيوب» وألزمه الخروج إلى ولده بمصر بذلك، وحمله رسالة منها: وهذا أمر تجب المبادرة إليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة، والمتعبة النبيلة، قبل هجوم الموت، وحضور الفوت، لاسيما وإمام الوقت متطلع إلى ذلك بكليته، وهو عنده من أهم أمنيته»^(١)، وقال أيضا في عام ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ - ١١٧١ م: «ولما ولي ابنه

(الخليفة) «المستضع» أقبل أيضا على مكاتبة نور الدين فيه، وألح نور الدين على صلاح الدين في طلبه»^(٢).

ب- اهتمامه بذكر الرؤى المبشرة بعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية:

وهي من أكثر الروايات التي كان عليه تجنبها، حتى لا ينتقد باعتقاده فيها من ناحية ومن ناحية أخرى لأنها تشير إلى قرب تحقق رغبة أهل السنة بعودة انتشار مذهبهم في مصر مرة أخرى، ومن ذلك الرؤية التي رآها الوزير الفاطمي شاور السعدي في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م، وهي تشير إلى هلاك الدولة الفاطمية على يديه^(٣)، كما أشار ابن أبي طي إلى رؤية أخرى رآها أسد الدين شيركوه في نفس العام، وهي تنبئ بقرب ولايته الوزارة الفاطمية

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ (طبعة دار الكتب).

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٩٨.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٥؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٤، ق ١، ص

بعد الوزير شاور^(١)، كما أورد بعد سقوط الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م رؤية مماثلة تبشر بعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية^(٢)، ثم اختتم كتاباته عن الخلافة الفاطمية بذكر رواية عن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله - آخر الخلفاء الفاطميين - وفيها تنبأ بقرب سقوط الخلافة الفاطمية^(٣).

ج - ذكره نص البشارة العامة بسقوط الخلافة الفاطمية:

وهي من إنشاء العماد الكاتب الأصفهاني، وكتبها لإعلام كافة البلاد بعودة مصر إلى تبعية الخلافة العباسية، وانفرد بها ابن أبي طي وجاء فيها: «أصدرنا هذه المكاتبة إلى جميع البلاد الإسلامية عامة بما فتح الله على أيدينا وتاجه، وأوضح لنا منهاجه، وهو ما اعتمدهنا من إقامة الدعوة الهادية العباسية، بجميع المدن والبلاد والأقصار والأمصار المصرية..... وطالما مرت عليها الحقب الخوالي، وآبت دونها الأيام والليالي، وقيت مائتين وثمانين سنة ممنوعة بدعوة المبطلين، مملوءة بحزب الشياطين سابغة ظلها للضلال»^(٤).

د - ذكره تفاصيل التنظيم الذي كان يهدف إعادة الخلافة الفاطمية:

وهو من أكثر الموضوعات التي اتسمت فيها كتابات ابن أبي طي بالشمول، وفيه اهتم بذكر كل التفاصيل الموضحة للتنظيم السري الذي تزعمه مؤيدي الخلافة الفاطمية بعد عامين من سقوطها في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ففضلا عن ذكر روايته التي اشتملت على توضيح الكثير من تفاصيله، انفرد بذكر نص الرسالة التي أرسلها صلاح الدين إلى نور الدين محمود ليخبره بأمر هذا التنظيم، وكيفية اكتشافه له وقضائه عليه بعد ذلك^(٥).

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩٩ - ٥٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٠٢.

(٥) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٦١، ٥٦٣، ٥٦٤؛ ابن كثير: المصدر السابق، ج

وفي اعتقادنا أن فشل مثل هذا التنظيم الذى كاد أن يعيد حكم المذهب الشيعى الإسماعيلى إلى مصر مرة أخرى، من الموضوعات التى تترك أثرا مؤلما في وجدان الشيعة، ولهذا كان من المتوقع أن يتناوله ابن أبى طى فى مساحة أقل، إلا إذا كانت لديه حسابات أخرى، وخلاصة القول ظهر أسلوب ابن أبى طى فى بعض كتاباته عن الخلافة الفاطمية بصورة تشير إلى اهتمامه بعودة المذهب السننى إلى مصر، ويرجع ذلك فى رأينا إلى كراهيته للمذهب الإسماعيلى من ناحية، ومن ناحية أخرى لتمجيده دور السلطان صلاح الدين الأيوبى فى كتابه الذى ألفه لتخليد سيرته، والذى وردت به كل كتاباته عن الخلافة الفاطمية.

ثانيا - العلاقة بين الشيعة الإمامية والمذهب السننى:

كشف ابن أبى طى عن عاطفة الشيعة الإمامية تجاه أهل السنة، من خلال بعض كتاباته التى أوضح فيها موقف كل منها من انتشار المذهب الآخر فى حلب.

١- موقف الشيعة الإمامية من انتشار المذهب السننى فى حلب:

كانت حلب حتى بداية القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، معظم أهلها من الشيعة الإمامية، وقد ذكر ذلك ابن أبى طى فى رواية مهمة تناول فيها التقسيم المذهبى فى حلب فى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ - ١١١٦ م فقال: «إن أهل حلب كان أكثرهم إمامية..... وفيهم الأقل من أهل السنة»^(١)، ولهذا وجد قرار «لؤلؤ الخادم» - وكان بيده مقاليد الحكم فى حلب - الخاص بإنشاء أول خانقاه للصوفية فى حلب فى ذلك العام معارضة شديدة من قبل الشيعة الإمامية بها، خشية انتشار المذهب السننى فى حلب.

وقد انفرد ابن أبى طى بذكر أسباب معارضة الشيعة، فقال: «إنا نكره مجاورة هذه الطائفة، فإنهم أهل بطالة، مع ما فيه من تطرق الغريب إلى السكنى بحلب وكشف أحوالنا،

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٩١.

وصرف أولادنا عما هم معتادوه من شظف العيش، وخشونة المأكل والملبس وأن سكنى هذه الطائفة تُعب على المشاحنة والعصية ووقوع الفتن»^(١)، ولهذا قام الشيعة بهدم ما تم بناؤه منها، فاتخذ لؤلؤ الخادم إجراءات مشددة مع المعارضين منهم حتى انتهى من بناءها، فقال ابن أبي طي: «ويلغ لؤلؤ إنكار الحلبيين بناء الخانقاه فألح في عمارتها، فاجتمع جماعة من الحلبيين إليها في الليل وهدموها، وبلغ ذلك لؤلؤ فاءمر بجماعة من الحلبيين فاعتقلوا حتى تمت عمارتها»^(٢).

٢ - موقف نور الدين محمود من انتشار المذهب الشيعي في حلب:

تناولنا في بداية هذا الفصل تفاصيل السياسة التي اتبعها نور الدين محمود بن زنكي للحد من انتشار المذهب الشيعي في حلب منذ عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م حتى وفاته في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ولقد كان والد ابن أبي طي من كبار زعماء الشيعة الذين أُضيروا من قرار نور الدين محمود، ولهذا لم يخف والده موقفه تجاه ذلك، ولكننا لاحظنا أنه كان دائماً يعلن عن كراهيته تجاه بعض معاوني نور الدين محمود من السنة.

أما بالنسبة لموقف ابن أبي طي ووالده من نور الدين محمود فلم تضح بصورة مباشرة كراهيتها له في ملف كتاباتها عن العلاقة بين السنة والشيعة، وإنما على العكس من ذلك أوجد والد ابن أبي طي لنور الدين محمود سبباً جعله يتخذ هذا القرار وتمثل ذلك فيما واجهه من ضغوط من أهل السنة من داخل حلب وخارجها. وسوف نوضح تفاصيل ذلك فيما بعد. وإنما ظهرت كراهية ابن أبي طي ووالده من نور الدين محمود - كما ذكر بعض المؤرخين القدامى ومنهم أبي شامة - من خلال كتابات ابن أبي طي ووالده عن سوء العلاقة بين نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين في مصر، وعللوا كتابات ابن أبي طي التي أبرز فيها تلك العلاقة بأنه كان متحاملاً على نور الدين محمود بسبب

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٩١.

(٢) المصدر نفسه والورقة.

سياسته تجاه الشيعة، وقد تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل في فصل العلاقة بين الدولة الأتابكية والأسرة الأيوبية.

وسوف بعض المواقف التي ظهرت فيها كراهية ابن أبي طي ووالده تجاه معاوية نور الدين محمود من السنة، ومنهم:

أ- ابن الطرسوسى والقاضى ابن الشهرزورى:

لقى والد ابن أبي طي في كتاباته التي أخذها عنه ابن أبي طي بعد ذلك مسئولية

اتخاذ نور الدين محمود قراره بمنع شعائر الشيعة في حلب في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م إلى بعض كبار أهل السنة في حلب، ومنهم ابن الطرسوسى والقاضى ابن الشهرزورى،

وفي نفس الوقت انفرد بتبرئة نور الدين محمود عندما أوضح أنه كان يبغى اتباع سياسة التسامح تجاه الشيعة في بداية ولايته حلب في عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، وأنه قام لذلك بزيارة أحد الأماكن المقدسة لديهم، وأنه غير قراره بعد ذلك بسبب الضغوط الداخلية وتمثل في كبار السنة في حلب: ابن الشهرزورى وابن الطرسوسى وغيرهم، «والخارجية» وتمثل في معين الدين إتر، والفقهاء برهان الدين البلخي في دمشق، وأوضح من خلال ذلك كيف كان لهذه الضغوط دور كبير في إقناع نور الدين محمود لمدة عامين (٥٤١ - ٥٤٣ هـ / ١١٤٦ - ١١٤٨ م) بتغيير سياسة الدولة تجاه الشيعة.

فقال ابن أبي طي: «حدثني أبي قال: كان نور الدين في ابتدا أمره.... على رأى أبيه في إكرام الحلبيين وتركهم والتظاهر بمذهبهم من الصلاة..... وكان اجتمع إلى الملك العادل نور الدين جماعة أهل السنة من حلب والقاضى «ابن الشهرزورى الأعور» و«ابن الطرسوسى»، وقالوا له في أمر الحلبيين أشيا فلم يقبلها... فلما أراد (نور الدين محمود) الوصلة بينه وبين «خاتون بنت الملك معين الدين» صاحب دمشق، كان الرسول فيها «ابن الطرسوسى»، وكان الشيخ «برهان الدين على الفقيه الحنفى المعروف بالبلخي» مقبياً

بدمشق فاجتمع به ابن الطرسوسى رسول الملك العادل نور الدين، وشرع معه فى أمر الحلبيين، فقرر الأمر على أن يرسل إلى الملك العادل نور الدين وينكر عليه التفاوض لما يفعله الحلبيون.... وقال ابن الطرسوسى أيضا للملك معين الدين صاحب دمشق: يجب أن تنكر أنت هذه الحال على نور الدين، فرد الملك معين الدين الرسالة وقال: ما أزوج بنتى لمن يفعل فى بلده كيت وكيت، فرجع ابن الطرسوسى ومن كان معه فى الرسالة، وقالوا: للملك العادل نور الدين ما قاله لهم صاحب دمشق وما شنع عليهم به، وعظموا عليه الحال وهونوا عليه أمر الحلبيين وصرّفهم عن ما هم عليه وضمنوا له أنه لا يتأذى بذلك ولا يخشى... وأن الملك لا يتأثر بذلك، وحملوه إلى أن أمر منع الحلبيين من ذلك»^(١).

وفى رأينا تميزت هذه الكتابات التى أوردها ابن أبى طى نقلا عن والده التى تتعلق بسياسة نور الدين محمود تجاه الشيعة بالموضوعية، ذلك لأنه كان من مصلحة والده بحكم أنه أضير هو وأسرته من هذه السياسة أن يذكر تفاصيل تدين نور الدين محمود بصورة مباشرة، ولا يوجد له المبررات التى دفعته إلى ذلك، وقد يقال أنه تعمد إخفاء رأيه لمعاصرتة لنور الدين محمود ولخوفه منه، ولكن والد ابن أبى طى - على حسب ما توافر لدينا من معلومات عنه - لم يكن مؤرخا تتداول كتاباته فى حلب وغيرها، وإنما كانت معظم الكتابات التى نقلها عنه ابن أبى طى حدثه بها والده بعد وفاة نور الدين محمود.

ب- بنو الداية وعز الدين جرديك:

أشار ابن أبى طى فى موضع آخر من كتاباته نقلا أيضا عن والده إلى ضغوط أخرى واجهها نور الدين محمود من قبل «بنو الداية» (أخوته فى الرضاعة) والأمير عز الدين جرديك، وأوضح أنهم كان لهم دور كبير فى نفى والده بعد ذلك من حلب مع غيره من كبار الشيعة، فقال: «وكتب أبى إلى حلب حين اتصل به قبض أولاد الداية وجرديك،

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٢، ج ٤، ورقة ٦٢ - ٦٤.

وكانوا تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب^(١)، وأكد بذلك والده مرة أخرى أن نور الدين محمود لم يكن المستول الأول في قمع الشيعة في حلب، وإنما كان هناك من شجعه وساعده على ذلك، وقد ظهرت كراهية ابن أبي طي ووالده من بنى الداية وجرديك من خلال بعض كتاباته، ومن ذلك:

كان والد ابن أبي طي قد تزعم الشيعة في حلب في عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م أثناء مرض نور الدين محمود، وقاموا بمحاولة لتغيير السلطة إلى أخى نور الدين محمود الأصغر - الذى كانت إليه ولاية العهد من بعد نور الدين محمود - وهو «نصرة الدين أمير أميران»، وقد علل والد ابن أبي طي سبب قيامهم بذلك قائلا: «اشتد به (نور الدين محمود) المروض وأرجف الناس بموته، واستولى الأمير مجد الدين بن الداية واخوته على الأمر بحلب، وأخذوا في ترتيب الملك للأمير مجد الدين، ويبلغ ذلك جماعة الحلبيين، فكروا أولاد المجدية لمكان المذهب، وراسلوا الأمير نصرة الدين أمير أميران... وأحضره إلى حلب»^(٢).

أظهر والد ابن أبي طي سعادته من خبر القبض على بنى الداية وجرديك في حلب في عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م، من خلال هجائه لهم في شعره^(٣)، وقد أوردناه في كتاباتنا عن والد ابن أبي طي في مقدمة هذا الفصل.

كما ظهر ذلك أيضا من خلال التفاصيل الدقيقة التى ذكرها ابن أبي طي عن أحداث القبض عليهم عند وصول الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود من دمشق إلى حلب بعد وفاة والده، وأوضح من خلالها سوء العلاقة بين بنى الداية وجرديك، وكأنه كان يتشفى منها، فقال عند القبض على حسن بن الداية واخويه سابق الدين وشمس الدين: «وكان حسن.... لما خرج إلى لقاء الملك الصالح ووقعت عينه عليه ترجل ليخدم هو

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٠٨.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ٣، ج ٥، ورقة ١٠٩.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦٠٨.

وجماعة من أصحابه، فتقدم «جرديك» وأخذ بيده، و شتمه وجذبه، فأركبه خلفه رديفاً، وقبض سابق الدين أخوه في الحال، و تُحطِّفَت أصحابهم جميعهم واحتيط عليهم..... و قبضوا على شمس الدين على بن الداية من فراشه، وحمل إلى

بين يدي الملك الصالح؛ فاستقبله أحد مماليك نور الدين المعروف «بالجفنية»، فركله

برجله ركلة دحاه بها على وجهه، فانشقت جبهته، ثم صفدوا جميعا و حبسوا في جُـب القلعة^(١).

وقال أيضا ابن أبي طي عن علاقة جرديك مع بني الداية عندما إلقاء القبض عليه وإنزاله إليهم في جب القلعة في نفس العام أيضا: « فقبض وثقل بالحديد، وأخذ بالعذاب الشديد، وحمل إلى الجب الذي فيه أولاد الداية، ثم قال أيضا:» ولما قدم جرديك وشد في وسطه الحبل وأذلى إلى الجب وأحس به أولاد الداية قام إليه منهم حسن و شتمه أقبح شتم، وسبه ألأم سب، و حلف بالله إن أنزل إليهم ليقتلنّه فامتنعوا

من تدليته، فأعلم «سعد الدين كمشتكين» فحضر إلى الجب و صاح على حسن و شتمه وتوعده، فسكن حسن وأمسك، وأنزل جرديك الجب، فكان عند أولاد الداية، وأسمعه حسن كل مكروه^(٢).

التقد التاريخي عند ابن أبي طي:

أظهر ابن أبي طي في كتاباته عاطفته تجاه بعض الدول، فأعلن في كثير من الأحداث التي كانت لها علاقة بالصليبيين شعوره تجاههم، وهو لم يختلف فيه عن غيره من المؤرخين المسلمين في ذلك العصر الذي كانت فيه قضية الجهاد أهم القضايا، ولهذا نجده دائما يدعو بعد ذكر اسم أي منهم أن تصيبهم لعنة الله تعالى.

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠٨.

والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها: قال ابن أبي طي عن الأمير «بلدوين دى بورج» أمير إمارة الرها الصليبية بعد أن أفرج عنه أمير الموصل «جاولى سقاوو» فى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ - ١١٠٩ م: «عدو الله القمص اللعين»^(١)، كذلك قال ابن أبى طى على عدد من ملوك الصليبيين أثناء المحاولة التى قام بها بعض الأمراء المسلمين لإسقاط إمارة الرها فى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ - ١١١٠ م: «لعنهم الله أجمعين»، وفى نفس النص قال عن أمير الرها: «وخرج عنها اللعين بغدوين الرويس»^(٢). وفى موضع آخر قال على الملك عمورى الأول عند ذكره أسباب الحملة الصليبية على مصر فى عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م: «وكان لعنه الله...»^(٣)، كما قال أيضا فى وصف عام للمعارك التى خاضها أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب مع الصليبيين: «وشهدا... حروب الكفار وقتال الفرنج، لعنهم الله تعالى»^(٤).

وقد أظهر أيضا ابن أبى طى موقفه من تصرفات بعض الحكام المسلمين. فكان على سبيل المثال قد عرض تفاصيل قيام أمير الموصل «جاولى سقاوو» بإطلاق سراح أمير الرها «بلدوين دى بورج» فى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ - ١١٠٩ م، فأظهر ابن أبى طى استياءه من هذا الموقف من ناحية ومن ناحية أخرى انتقد سياسة جاولى تجاه المسلمين والصليبيين فقال: «وكان هذا من عجيب الإستياء، يأمر جاولى بالموصل القضاة والأشراف وأهل الدين من المسلمين، ويطلق عدو الله القمص اللعين»^(٥).

وفى رواية أخرى لابن أبى طى وضع تقريبا عاما لعهد السلطان السلجوقى «محمد

ابن ملكشاه» أثناء ترجمته له فى عام ٥١١ هـ / ١١١٨ م وذكر أنه اتسم عهده بالحروب

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤٢.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣٨.

(٥) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٢٢.

الكثيرة، وأرجع ذلك إلى: «تولى غير الكفاة وتصرف غير أرباب التصرفات»^(١).

ووجه أيضا ابن أبي طي نقدا صريحا لعهاد الدين زنكى إزاء موقفه من رسل أمير دمشق بعدما عقد هدنة معهم في عام ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م، ثم ماطل الرسل في حلف اليمين، ثم جعل أحد الخدم يؤدي هذا اليمين عنه أمام الرسل، فانتقده ابن أبي طي في هذا الموقف وقال: «وهذا من عظيم الجبرية وغاية الخرق»^(٢).

كما يظهر الجانب النقدي لدى ابن أبي طي من خلال اتهامه بكشف العامل الرئيسى المؤثر على سير الأحداث، فقال على سبيل المثال عن أسباب فشل وزارة الوزير الفاطمى العادل رزيك (٥٦٦ - ٥٥٨ هـ / ١١٦١ - ١١٦٣ م): «وتفرق آل رزيك في البلاد، ونجا حسام الذى كان سبب هلاك بنى رزيك»^(٣).

وفي رواية أخرى أوضح الأسباب الرئيسة لسقوط وزارة الوزير الفاطمى ضرغام (٥٥٨ - ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ - ١١٦٤ م)، وسقوط الخلافة الفاطمية بعد ذلك، فعلق بعد ذكره خبر قيام ضرغام بقتل الكثير من الأمراء المصريين فقال: «فكان ذلك أكبر الأسباب في هلاكه وخروج دولة المصريين عن يد أصحابها، لأنه أضعف عسكر مصر بقتل الأمراء»^(٤).

كما يظهر الجانب النقدي لدى ابن أبي طي عندما يضعف بعض الروايات بطريقة غير مباشرة فيوردها بصيغة التضعيف. فبعد ذكره للرواية التى يراها صحيحة، يعرض للرأى الآخر فيقول: «وقيل» أو «ويقال».

فكان على سبيل المثال قد ذكر قيام الوزير الفاطمى ضرغام (٥٥٨ - ٥٥٩ هـ /

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م، ١، ج ١، ورقة ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ورقة ٩٢.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١٧.

١١٦٣ - ١١٦٤ م) يقتل الكثير من أمراء المصريين فقال: «وقيل» أنه قتل منهم سبعين أميراً. «ويقال» إنه جعلهم في توأيت وكتب على كل تابوت اسم صاحبه^(١).

كما كان قد ذكر أيضا أن الأمير «ابن مصال» هو الذي أبلغ صلاح الدين بأمر التنظيم السري الذي كان يهدف إلى إعادة الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م، ثم عرض رواية أخرى مخالفة لما ذكره فقال: «وقيل» إن الذي أذاع سرهم «زين الدين علي الواعظ»^(٢).

لاحظنا أيضا من خلال دراستنا لابن أبي طي أنه كان يهتم في بعض الأحيان بتحقيق الآراء التي قيلت في موضوع ما، ويذكر رأيه في نهاية هذا التحقيق، وهذا النهج يبين لنا اهتمامه بالنقد.

فكان على سبيل المثال قد ذكر معظم الآراء التي قيلت حول نسب نجم الدين أيوب، وناقشها، وخرج برأى نهائي، فقال: «حدثني أبي رحمه الله قال: كان «تقى الدين عمر» يزيد فيقول: شاذي بن مروان، وقد ادعى ابن سيف الإسلام لما ملك اليمن أنهم من بني «مروان بن محمد الجعدي المعروف بالحمار»، يعني آخر خلفاء بني أمية، وقد نقتب عن ذلك فأجمع الجماعة من آل أيوب بأن هذا كذب»^(٣).

ثم أنهى ابن أبي طي بحثه عن نسب نجم الدين أيوب بأنه هو: «نجم الدين أيوب ابن شاذي»، (وأنه) «لا يُعرف في نسبه أكثر من والده شاذي». ثم أكد هذا الرأي مرة أخرى تأكيدا قاطعا بقوله: «أن جميع آل أيوب لا يعرفون جدا فوق شاذي»^(٤).

كما اتبع ابن أبي طي منهج المقارنة في جمع بعض كتاباته، فعند ذكره ولاية حلب بعد

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤١٧.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٥٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣٤، ٥٣٥.

الملك سلطان شاه في عام ٥١٢ هـ قال: «أن الأمير «لؤلؤ» انفرد بمملكة حلب بعد الملك سلطان شاه بن الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان صاحب حلب، وولى بعده «ابن الملحي» ثم قال: ورأيت في تاريخ «ابن أبي جرادة» أن الملك سلطان الدولة ملك بعد أبيه الملك رضوان، ولم يذكر لؤلؤ الخادم، ولا ابن الملحي. وقد ذكر «ابن القلانسي» كما ذكرت أولا. قال: وذكره «أبي» في «مجموعه»، وكذلك وجدته في مجموع القاضي «العدل بن دحم الحلبي»^(١).

نقد المؤرخين القدامى لابن أبي طي:

كان ابن أبي طي وكتابه محل نقد بعض الجغرافيين والمؤرخين القدامى المعاصرين واللاحقين به، وكان من أكثر الذين وجهوا له نقدا لاذعا:

الجغرافي ياقوت الحموي^(٢):

أورد ياقوت الحموي عدة أسطر عن ابن أبي طي وضع فيها خلاصة رأيه فيه كمؤرخ، وفي هذا الرأي هدم ابن أبي طي المؤرخ، ولم يكتف بذلك بل اتهمه أيضا بأن مؤلفاته قام بسرقتها من مؤلفات غيره ووضع عليها اسمه. وكان ياقوت قد أورد نص هذه الترجمة ضمن كتابه «معجم الأدباء»^(٣)، ولكنها فقدت بعد ذلك من أصل الكتاب، ووصلنا أجزاء من هذه الترجمة ضمن مؤلفات اثنين من المؤرخين، وهما: «الكتبي» (ت

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٩.

(٢) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنتس والمولد الحموي المولي البغدادي الدار الملقب شهاب الدين: أسر من بلاده صغيرا، فاشتره تاجر حموي، فرباه، وأقرأه القرآن، وعلمه الخط، ثم اشتغل بالتجارة فترة. ألف العديد من الكتب منها: معجم البلدان، ومعجم الأدباء، وأسماء الجبال والأنهار والأماكن، توفي في رمضان عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م بحلب ولم يبلغ الستين من عمره. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦، ١٢٧-١٣٩؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج ٦، ص ٣١٧).

(٣) كان الكتبي قد أشار إلى ذلك عند عرضه أجزاء من الترجمة، وذكر أن ياقوتا أورد له ترجمة طويلة في هذا الكتاب. (فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٦٩).

عام ٧٦٤ هـ / ٦٢ - ١٣٦٣ م) و«ابن حجر العسقلاني» (ت عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م).

قال ياقوت عن ابن أبي طي: كان يدعى العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية، وجعل التأليف حانوته، ومنه قوته ومكسبه، ولكنه كان يقطع الطريق على تصانيف الناس، يأخذ الكتاب الذي أتعب جامعه خاطره فيه فينسخه كما هو إلا أنه يقدم فيه ويؤخر، ويزيد وينقص، ويخترع له اسما غريبا، ويكتبه كتابة فائقة لمن يشبه عليه ورزق من ذلك حظا^(١).

وبعد أن ذكر ياقوت رأيه هذا في مؤلفات ابن أبي طي ذكر بعض أسماء تلك

المؤلفات، وأوردها عنه ابن حجر العسقلاني^(٢)، وهناك قائمة أخرى لمؤلفات ابن أبي طي أوردها «الكتبي» - الذي اعتمد أيضا على ترجمة ابن أبي طي التي ذكرها ياقوت الحموي - وإن كان الكتبي لم يصرح بأنه اعتمد على ياقوت في ذكر هذه القائمة، إلا أن احتمال نقله هذه القائمة عنه احتمال وارد، خاصة أنه سجل نفس الأسماء التي ذكرها ابن حجر عن ياقوت^(٣).

وفي الحقيقة فإن ترجمة ياقوت الحموي عن ابن أبي طي تمثل لنا أهمية كبيرة في هذه الدراسة، لأنها تعد المصدر الرئيسي لكتابات الكتبي وابن حجر العسقلاني، وهما من أهم المصادر التي ترجمت لابن أبي طي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه قلل كثيرا من شأن ابن أبي طي ومكانته بين أقرانه من المؤرخين، وزاد بذلك من صعوبة هذه الدراسة

(١) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٢) وهي: «معادن الذهب في تاريخ حلب» (كبير)، و«شرح بهجة البلاغة» في ستة مجلدات، و«فضائل الأئمة» في أربعة مجلدات، و«خلاصة الخلاص في آداب الخواص» في عشرة مجلدات، و«الحاوي في رجال الإمامية»، و«سلك النظام في أخبار الشام»، إلى غير ذلك. (لسان الميزان، ج ٦، ص ٣٤٤).

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩ - ٢٧١.

التي وضعت لتقييم المؤرخ ابن أبي طي.

ومما زاد من صعوبة التحقق من صدق رواية ياقوت الحموي أنه كان معاصرا لابن أبي طي في حلب، حيث زار ياقوت حلب في عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م^(١)، ثم أقام فيها آخر فترة من حياته، وتوفي بها في رمضان عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م^(٢)، وقد أكد ابن حجر العسقلاني، من خلال كتابات ياقوت نفسه، أنه التقى مع ابن أبي طي في حلب في عام ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م^(٣)، وبهذا يكون ياقوت قد سجل هذا الرأي بعد معرفته بابن أبي طي.

وإن كنا لا نعلم شيئا عن طبيعة العلاقة بينهما، فمن الممكن معرفة جانب منها من خلال ما نعلمه عن كل من ابن أبي طي وياقوت الحموي. فبالنسبة لابن أبي طي فقد عرفنا الكثير عنه من خلال دراستنا عنه، خاصة الروايات التي ذكرها هو عن نفسه، وكذلك بالنسبة لياقوت الحموي فقد عرفنا بعض التفاصيل عنه من خلال التراجم التي كتبت عنه.

ومن خلال ذلك لاحظنا أنه من المستبعد أن يكون قد قامت بينهما علاقة طيبة بل العكس هو الصحيح، بسبب معتقدات كل منهما، فالمعروف أن ابن أبي طي كان شيعي المذهب، أما ياقوت الحموي فقد كان على حد قول ابن خلكان: «متعصبا على علي بن أبي طالب... وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستائة... وناظر بعض من يتعصب لعلي.. وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره عليا.. بما لا يسوغ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه، فسلم منهم، وخرج من دمشق منهزما بعد أن بلغت القضية إلى والي البلد، فطلبه فلم يقدر عليه، ووصل إلى حلب خائفا يترقب»^(٤).

(١) ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٨٣؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٢٨.

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٣٩.

(٣) المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ١٢٧-١٢٨.

ومن المؤكد أن يكون ابن أبي طي قد علم بأمره عند وصوله إلى حلب، ومن غير المستبعد أن يكون بعد عودة ياقوت إلى حلب مرة أخرى وإقامته بها حتى وفاته - كما ذكرنا من قبل - قد قامت بينهما مناظرة أخرى. وعلى كل الأحوال فإن تعصب ياقوت الحموي الشديد تجاه الشيعة يجعلنا ننظر إلى روايته عن ابن أبي طي - بصفة عامة - بحذر شديد.

ومن خلال دراستنا لابن أبي طي سنحاول أن نتحقق من النقد الذي كتبه ياقوت عنه، فبالنسبة لما ذكره عن أنه كان: «يدعى العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية»^(١)، هذا الاتهام في رأينا غير صحيح لأن ابن أبي طي تحدث كثيرا في كتاباته عن أسرته وظهر أنها كانت ذات مكانة دينية كبيرة في حلب، وعدت من أهم فقهاء الشيعة الإمامية فيها، فكان عم والده كما ذكرنا من قبل «أسد بن علي الغساني أبو الفضل الحلبي» قد درس الأصول على مذهب الإمامية، وألف بعض الكتب في فضائل آل البيت^(٢). وكان عم ابن أبي طي «محاسن بن ظافر» من الفقهاء أيضا، وكذلك كان جده لأمه «فضائل بن صفيل»^(٣). أما والد ابن أبي طي، فقد درس أيضا على فقهاء الشيعة الإمامية في حلب ومنهم: «يوسف المصري»^(٤)، و«الحسن بن إبراهيم بن محمد ابن جعفر الحمصي»^(٥)، وكانت له مكانة كبيرة في حلب، وظهر هذه المكانة من خلال ما ذكره ابن أبي طي عن نزول الفقيه الكبير «محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني» عند والده وإقامته في بيته في حلب^(٦).

ولهذه المكانة الكبيرة التي كانت تحتلها أسرة ابن أبي طي في حلب كانت في مقدمة من

(١) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩٨.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٤، ورقة ٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢ أحداث عام ٥١٦ هـ.

(٥) ابن حجر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٦) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٩.

نُفذ عليهم قرار نور الدين محمود في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م بنفى زعماء الشيعة بها^(١)، ومع ذلك ظلت مكانة والده كما هي، وازدادت مكانته مع الأيام، حتى أنه بعد وفاة نور الدين محمود وإلغاء قراراته بشأن الشيعة في عام ٥٧٠ هـ، أم والده الشيعة وصلوا خلفه^(٢).

ولهذا فمن غير المعقول أن يكون والد ابن أبي طي على هذه المكانة الدينية الكبيرة ويترك ولده الوحيد دون أن يلقيه العلوم الدينية، وقد بدأ والده ذلك منذ الساعات الأولى لمولده فقد حكى ابن أبي طي عن ذلك فقال: قال أبي: «واستدعيتك إلى وأذنت في أذنك اليمنى وأقمت في اليسرى، وحنكتك بشئ من تربة الحسين بن علي عليهما السلام في ماء عذب»^(٣)، ولقى ابن أبي طي تعليمه بعد ذلك على كبار فقهاء الشيعة الإمامية، فذكر منهم: «خليل بن خمرتكين الحلبي»^(٤)، «ورشيد الدين المازندراني»^(٥)، و«الأشرف بن الأعز»^(٦).

ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن ابن أبي طي كان قد لقي الكثير من العلوم الدينية وغيرها من العلوم، و في اعتقادنا أنه لم يكن يدعى العلم بالأدب والفقه والأصول على مذهب الإمامية مثلما ذكر ياقوت الحموي.

أما بالنسبة لما ذكره ياقوت عن أنه كان يقطع الطريق على تصانيف الناس^(٧)، فهذا الرأي إن كان صحيحاً فلماذا عندما قام ابن أبي طي بتهذيب كتاب «الإستيعاب في معرفة

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٤، ورقة ٩٧.

(٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٦١٠.

(٣) السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٧.

(٤) ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٣٧٧-٣٣٧٨.

(٥) الطباخ الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٦) الصفدي: نكت الهميان، ص ١٠٠.

(٧) الكتبي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٦٩؛ ابن حجر: المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤٤.

الأصحاب لابن عبد البر» ساء «تهذيب الاستيعاب لابن عبد البر»^(١)، ولم يغير اسمه ويتحلله لنفسه؟

من خلال كل ما سبق نستطيع أن نقول أن ياقوت الحموي كان متحاملا على ابن أبي طي في نقده له، ولعل ذلك كان كما ذكر الأستاذ «مصطفى جواد»: «من غمز ياقوت الحموي به وطعنه عليه فقد كانا متعاصرين ومختلفين في المذهب. وجمعتها حلب الشهباء، ولكن فضل ياقوت لا ينكر في أنه ترجمه في الأحياء المشهورين بالأدب على عادته في معجمه»^(٢).

ومن المؤرخين الذين انتقدوا بعض الروايات التي أوردها ابن أبي طي كان المؤرخ ابن حجر العسقلاني، وقد وجه نقده إليه من خلال التراجم التي أوردها عنه.

فعلى سبيل المثال قال عند ذكره رواية ابن أبي طي التي ترجم فيها «لهشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر الإخباري النسابة العلامة»: «ذكره ابن أبي طي في الإمامية، وقص له قصة مع جعفر الصادق، رحمه الله تعالى، و«لا أظن صحتها»، ونقله عن «ابن معين» أنه وقفه، و«ليس كما قال»^(٣).

وفي روايات أخرى انتقد ابن حجر أسلوب ابن أبي طي، ووصفه بأنه كان مبالغاً في إطرائه على بعض من ترجم لهم من الشيعة الإمامية. ومنهم: «ورام بن أبي فراس بن ورام أبو الحسين» فقال عنه ابن حجر: «ذكره ابن أبي طي في الإمامية، وبالحق في إطرائه»^(٤)، كما

(١) الكشي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧١؛ حاجي خليفة: المرجع السابق، ج ١، ص ٨١؛ الطباخ

الحلبي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٢) مجلة الكتاب، مجلد ٦، ج ٨، ص ٤٧٧.

(٣) المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.

قال عن «محمد بن علي الكراجكي»: «بالغ ابن أبي طي في الثناء عليه»^(١).

مأخذ الدراسة على ابن أبي طي:

كشفت الدراسة من خلال مقارنة نصوص روايات ابن أبي طي بغيره من المؤرخين أنه لم يكن دقيقاً في كتابة بعض التواريخ والأسماء والأحداث.

١- التواريخ:

من أبرز النصوص التي لم يتحرى ابن أبي طي الدقة في ضبط تاريخ كثير من الأحداث بها، كتاباته عن تاريخ الخلافة العباسية ودولة السلاجقة، حتى أصبحت لكثرة تكرارها من السمات الرئيسة في هذا الفصل، وكان التاريخ الذي يورده يسبق في بعض الأحيان التاريخ الذي ذكره غيره من المؤرخين - السابقين أو المعاصرين له - بعام.

ومن أمثلة ذلك: حدد ابن أبي طي تاريخ زيارة «أتابك طغتكين» أمير دمشق للخلافة العباسية - للاجتماع مع السلطان «محمد بن ملكشاه» - في أول يوم من عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م^(٢)، بينما ذكر كلا من: «ابن القلانسي» (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)؛ و «ابن الأثير» (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أن أتابك طغتكين وصل إلى بغداد قرب نهاية العام في شهر ذي القعدة عام ٥٠٩ هـ / ١١١٦ م^(٣).

كما كان ابن أبي طي أثناء ترجمته للخليفة العباسي المستظهر بالله، قد لاحظ وجود تقارب زمني بين وفاة ثلاثة من الخلفاء العباسيين وثلاثة من سلاطين السلاجقة، وحدد الفارق الزمني بين وفاة كل اثنين منها، ولاحظنا أنه لم يكن دقيقاً في حساب الفارق بين وفاة السلطان السلجوقي «ملكشاه بن ألب أرسلان» (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٩٨.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٨٩.

(٣) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣٠٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٧٣.

م) والخليفة العباسي المقتدى بأمر الله (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٩٤ م)، حيث ذكر أنه كان بين وفاتها ستة أشهر^(١)، والصحيح أن الفارق بين وفاتها كان أكثر من عام حيث توفي السلطان ملكشاه توفي في شوال عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، وتوفي الخليفة المقتدى بأمر الله في منتصف المحرم عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م^(٢).

وهناك العديد من الأمثلة الأخرى في فصل كتابات ابن أبي طي عن تاريخ الخلافة العباسية ودولة السلاجقة كشفتها الدراسة، وأوردنا التاريخ الصحيح لها.

أما بالنسبة لبقية كتابات ابن أبي طي فقد وردت بها أيضا بعض التواريخ التي لم يتحرى الدقة فيها. ومن أمثلة ذلك:

حدد ابن أبي طي مدة حصار الوزير الفاطمي شاور ومن معه من الصليبين لحملة أسد الدين شيركوه في بلبيس في عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م بثمانية أشهر^(٣)، بينما أوضح «ابن الأثير» وكثير من المؤرخين أن الحصار دام ثلاثة أشهر فقط^(٤).

٢- الأسماء:

لاحظنا أيضا على ابن أبي طي أنه كان في بعض الأحيان يجانبه الصواب في ذكر أسماء الشخصيات التي تدور حولها الأحداث.

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٢.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٩، ص ٦٢، ٨٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ١٦٣، ١٧٠.

(٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٢١.

(٤) المصدر السابق، ج ٩، ص ٨٥. وانظر أيضا: ابن العديم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٧؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص ١٤٠؛ أبو الفداء: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤١؛ التويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٣٤؛ المقرئ: اتعاظ الخنفا، ج ٣، ص ٢٧٧؛ أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ٣٤٧؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٦٢.

ومن أمثلة ذلك: كان ابن أبي طي قد أوضح في ختام كتاباته عن حملة نور الدين محمود الأولى على مصر في عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م، أن أسد الدين شيركوه قائد الحملة كاد يتعرض أثناء عودته من مصر إلى الشام إلى مضايقات من قبل الصليبيين، وتحديدًا من «البرنس أرناط» أمير «حصنى الكرك والشوبك»، ولكنه وصل سالمًا بعد ما قام بتغيير الطريق الذي كان سيسلكه إلى الشام^(١).

وقد تبين لنا من خلال البحث عن أصل هذا الموضوع صحة ما ذكره ابن أبي طي بشأن التخطيط الصليبي للإيقاع بشيركوه أثناء عودته، حيث أورد «ابن الأثير» هذا الخبر^(٢)، أما ما ذكره ابن أبي طي عن البرنس أرناط وإعداده لهذا المخطط، فلم يكن صحيحًا، لأن «أرناط» كان أثناء تلك الأحداث مقبوضًا عليه في قلعة حلب، حيث كان وقع في أسر الأمير «مجد الدين ابن الداية» - نائب نور الدين محمود في حلب - في عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م، أي قبل هذه الأحداث بنحو أربع سنوات، وقد ظل أسيرًا في حلب حتى أفرج عنه في عام ١١٧٦ م / ٥٧٢ هـ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن

أرناط قد تولى بعد حصنى الكرك والشوبك في فترة خروج شيركوه من مصر، لأنه بعد الإفراج عنه في عام ١١٧٦ م / ٥٧٢ هـ تزوج من وريثة بلاد الأردن والكرك والشوبك وصار إليه منذ ذلك الوقت الحكم في تلك المناطق^(٣).

٣- الأحداث:

هناك أيضًا بعض الأحداث التي جانب فيها ابن أبي طي الصواب، ومن ذلك ما

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ٢، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٩، ص ٨٥. وانظر أيضًا: ابن واصل: المصدر السابق، ج ١، ص ١٤١.

(٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٤٣٩ - ٤٤٠، ج ٤، ص ١٩٦؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٤؛ رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٥٧٧، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٧.

ذكره عند عرضه تفاصيل حصار عماد الدين زنكى دمشق في عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م، فقد ذكر أن أمير دمشق جمال الدين بوري قد عرض عليه عرضاً في مقابل تركه الحصار، وتضمن هذا العرض أن يتنازل له ملك دمشق عن مدينة حمص^(١). ولقد لاحظنا أن ابن أبي طي لم يكن دقيقاً فيما ذكره عن هذا العرض ويعتبر هذا خطأ كبيراً وقع فيه ابن أبي طي، لأن حمص كانت تابعة بالفعل لسيادة عماد الدين زنكى قبل عامين من هذه الأحداث في عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨-٣٧ م، بل كان عماد الدين زنكى قد عرض التنازل عنها في أحد مراسلاته مع جمال الدين بن بوري^(٢).

كذلك يؤخذ على ابن أبي طي اهتمامه بذكر الكثير من الرؤى والأخذ بدلالاتها في التفسير^(٣) وكان بعض هذه الرؤى ينبئ بالمستقبل: من ذلك الرؤى التي رآها والد ابن أبي طي قبل أن يرزق به ويُشربها بقرب مولده^(٤)، والرؤية التي رآها الوزير الفاطمي شاور قبل مقتله في عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م وكانت تنبئ بنهاية الخلافة الفاطمية على يديه^(٥)؛ أما البعض الآخر فقد ذكره ابن أبي طي لتفسير بعض المواقف. من ذلك تفسيره قرار الملك العادل نور الدين محمود بالعدول عن إيذاء بعض فقهاء وعامة الشيعة في حلب في عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، أنه رأى الإمام على في أكثر من رؤية حالته^(٦).

(١) أبو شامة: المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ٨٧.

(٢) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٤١٨، ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) د. محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٤) السيد محسن الأمين: المرجع السابق، ج ٥٢، ص ١٦.

(٥) ابن الفرات: المصدر السابق، ج ٤، ق ١، ص ٣٠ (مطبوع).

(٦) المصدر نفسه، ج ٤، ورقة ٩٨ (مخطوط).